ناظم حكمت

الأعمال الشعرية الكاملة



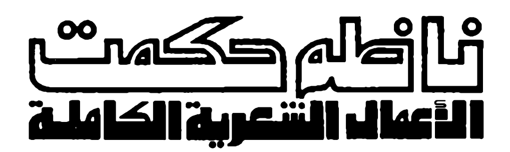
ترجمة فاضل لقمان



الجزء الثاني

١٩٢٨-١٩٣٩


ناظم حكمت
الأعمال الشعرية الكاملة



ترجمة فاضل لقمان

ألجزء ألثاني

١٩٢٨ - ١٩٣٩



دار الفارابي بيروت
ص ب ٣١٨١ / ١١
الطبعة الأولى ١٩٨١

صمم الغلاف: حسين ياغي

كلمة ناظم حكمت

إنَ كاتب هذا الكتاب شاعر تركي عادي يعتز بأنه اعطى قلبه وعقله وقلمه ، وعمره كله ، لشعبه ، ومن جهة أخرى فإن هذا الشاعر دأب بواسطة الشعر على تمجيد جميع نضالات كل الشعوب ، مهما كان اسمها وموقعها الجغرافي وقوميتها وعرقها ، في سبيل الاستقلال القومي والعدالة الاجتماعية والسلم ، وقد اعتبر انتصارات هذه الشعوب انتصارات لشعبه هو ، وهزائمها هزائم له ، كما اعتبر أفراحها وأتراحها أفراحاً وأتراحاً لشعبه بالذات ، ففي هذا الكتاب أصداء لهذه الاتراح ، لهذه الأفراح ، ولهذه الهزائم ، والانتصارات .

وهذا الكتاب ، من جهة ثانية ، يضم قصة الأحداث التي مرت بانسان فرد : بما فيها أهواؤه وحسراته ومواقفه العملية التي اتخذها ازاء الموت ، ومخاوفه ، وأمراضه ، وآماله ، واسباب اعتزازه ، ومعتقداته .

وفي هذا الكتاب أيضاً ، أيها القراء الأعزاء ، يحسب حساب الجهد الذي بذلته من أجل نحت الآلة التي استخدمها ، من أجل أن استطيع توظيف افضل وأنقى الاصوات عند انشادي للأغاني التي أردت أن أنشدها .

إن جذور شعري تضرب عميقاً في تراب وطني . غير أنني أردت أن استطيل بأغصانه الى كل الأراضي ، تلك الأراضي الواسعة دون حدود في الشرق والغرب في الشمال والجنوب ، الى الحضارات التي شيدت فوق هذه الأراضي ، الى عالمنا الكبير ، واذا قام ابن آدم ، مهما كان مكانه وزمانه ولغته ، بقول شعر خفق له قلبي واستجاب له عقلي ، فإنني أبذل كل جهدي لدراسة المهارة التي قيل بها ، ولتعلم بعض الأشياء منه . وقد اعتبرت اساتذة لي ليس فقط معلمي الأدب في أدبنا نحن ، بل ومعلمي الأدب في كل الآداب الاخرى .

ناظم حكمت

كيف يجب أن تتم الترجمة ؟

قرأت الدراسة التي كتبها قسطنطين سيميونوف ، رجل الفن والأدب الشهير في الاتحاد السوفييتي ، بمناسبة وصول ناظم حكمت إلى موسكو قادماً من رومانيا عام ١٩٥١ . فقد استقبله سيميونوف بوصفه رئيساً لممثلي رجال الفكر والفن السوفييت في مطار موسكو . وما أن التقى به ناظم حتى دخل هذا الأخير في قلب الموضوع ، دون أية مقدمات . وهما ما يزالان في السيارة التي اقلتهما من المطار الى موسكو : وقال :

« اسمع يا سيميونوف ! انت هو الرجل الذي ترجم أشعاري إلى اللغة الروسية بشكل فني حاز على اعجاب القراء الروس . غير أنني لست راضياً ، اطلاقاً ، على ترجماتك تلك . فأنت تكثر من الغوص وراء القوافي بحثاً عن الأشكال الشعرية وغالبا ما يقترن عملك بقدر كبير من التوفيق والنجاح . وتتحول ترجماتك لقصائدي ، في حقيقة الأمر ، الى اشعار جميلة غير أنها تخرج بذلك ، عن أن تكون مؤلفاتي انا وحدي . فمساهمتك انت تصبح واضحة ومتزاوجة مع انتاجي أنا . انني لست مسروراً بمثل هذه الترجمة . لا يسوؤني ابداً ان تتحول

اشعاري الى نثر ، ولا يهمني ان تفقد كل شاعريتها ، يكفي بالنسبة لي ، ان تتم ترجمة ما قلته كما قلته حرفياً دون أية زيادة او نقصان » .

مقتبس من كتاب « رحل ناظم عن هذا العالم »
لمؤلفه
فالا نور الدين
(صديق طفولة الشاعر)

قصائد ١٩٢٨



جانبا « آربا جاي »

آربا جاي فصلت مثل سكين بارق النصل
بين حضارتين متناقضتين .
في جهة :
ينز الدم من جماجم العمال المحطمة .
وفي الجهة الثانية سلطة الكادحين .
آربا جاي فصلت مثل سكين بارق النصل
بين حضارتين متناقضتين .
في جهة : الموت ملتصق بالأسنان الصفراء الصدئة
للفلاحين الذين اقتلعوا من أرضهم
مثل أشجار الدلب اليابسة .
وفي الجهة الاخرى صاحب الأرض
هو ابن المدينة الفقير .

أحد جانبي آربا جاي
يتصدع من الأعماق مثل جبل أسود ينهار ،
والجانب الآخر
مندفع نحو الآفاق
المرصعة سماواتها بالشموس الطازجة والفتية .
فصلت آربا جاي بين اثنتين من الحضارات المتناقضة
مثل سكين بارق النصل !
فاذا كان الدم ينز
اليوم من جماجم العمال في أحد الجانبين ،
فان الجمهورية الجديدة
لاتحاد السوفيتات
ستولد غدا هناك بالتأكيد .

موسكو ١٩٢٨

بحر الخزر

من الأفق الى الأفق
كانـت الجيوش خلف الجيوش من الأمـواج المزبـدة الداكنـة
تتسابق

وصاحبي يتحدث بلغة رياح الخزر
يتحدث ويحمحم !
من قال ؟ من قال ؟
ان الخزر شبيه ببحيرة ميتة !
فالخزر ماء عربيد مالح لا حدود له
على الخزر يتنزه الصديق !
والعدو !

الموج جبل
والقارب وعل !
لموج بئر
والقارب دلو !
القارب يعلو
القارب يهوي ،

القارب يتدحرج
عن ظهر جواد
كابٍ
ويمتطي ظهر جواد
جامح !
الربان التركماني
يجلس القرفصاء عند الدفة
معتمراً قلبقاً اسود كبيراً
هذا ليس قلبقاً
بل خروفاً كثيف الصوف شَقَّ بطنه
ووضعه على راسه

فتدلت اهداب الصوف على حاجبيه !
القارب يعلو
القارب يهوي
والربان

مثل « تمثال لبوذا في تركمانستان »
يجلس القرفصاء عند الدفة
ولكن إياك ان تتوهم بانه في مواجهة الجزر
مكتوف الايدي

انه واثق من نفسه ثقة مقدودة من صخر
كواحد من تماثيل بوذا !
يجلس القرفصاء عند الدفة
غير آبه
بالمياه
الملتفة
حول القارب !
غير آبه
بالمياه
المنتجرة
المتصدعة !

القارب يعلو

القارب يهوي

القارب يتدحرج

عن ظهر جواد

كابٍ

ويمتطي ظهر جواد

جامح

ـ رياح سوداء عنيفة تهب بقوة !

حذار انتبه الى آلاعيب الخزر ، حذار !

حذار من أن تلعب بك الرياح لعبتها !

ـ لا تأبهي يا أماه فلا بأس

لا بأس

لتعمل الرياح السوداء

على اثارة جنون المياه

فمن ولد في الخزر
قبره هو الخزر

القارب يعلو
القارب يهوي
يعلو . . .
يهوي . . .
يعلو . . .

١٩٢٨



شجرة الصفصاف

تيار الماء كان يتدفق
عاكساً على صفحته أشجار الصفصاف.
عناقيد الصفصاف كانت
تغسل خصلات شعرها في الماء!
فرسان الخيول الحمراء كانوا
منطلقين نحو مغيب الشمس
ونصال سيوفهم المجردة الملتهبة
ترتطم بأشجار الصفصاف!

فجأة
مثل عصفور
اصيب في جناحه
تدجرح فارس جريح
عن صهوة حصانه!
لم يصرخ،

لم يناد رفاقه المندفعين،
اكتفى بالنظر بعينيه الممتلئتين
إلى الحدوات المتلألئة للخيول المبتعدة!
يا للأسف!
أسفي عليه!
لن يعود ثانية لامتطاء
الخيول المنطلقة كالبرق
كي ينام فوق أعرافها المزبدة،
لن يعود ثانية لاعمال
سيفه وهو يطارد
عصابات الحرس الأبيض!
أصداء الحدوات تنطفيء شيئاً فشيئاً
الفرسان يغيبون حيث غابت الشمس!
إنهم فرسان الخيول الحمراء،
أفراسهم تحمل أجنحة من الريح!

نعم أجنحة من الريح!
من الريح...

مرت الحياة مثلما مر فرسان الخيول المجنحة!
هـدأ صوت الماء المنساب.
خيّمت الظلال،
وامّحت الألوان.
على عينيه الزرقاوين
انسدلت ستارتان سوداوان،
تدلت عناقيد الصفصاف
فوق خصلات شعره الأشقر!
يا عناقيد الصفصاف أناجيك!
دعك من البكاء،
ولا تقفلي كفيك حزناً
على صفحة مرآة الماء!
دعك من البكاء!

١٩٢٨



من دفتر مذكرات سجن «هوبا»
حول وهبي بن خاطف البنت والطفل محيي الدين

مصباح كاز . . .
مسمّر على الجدار . . .
المسمار ، وهو يلف ذيله بالحاح
ثقب قلب إحدى صفحات الدفتر . .
واخترق .

الورقة ناصعة البياض ،
الورقة شديدة الصفار . . .
لقد شرب المسمار دم الورقة
المصباح ، يشتعل مثل شمس في صباح ماطر .
وصفحة الدفتر تتأرجح
مثل القميص الأبيض
لرجل علّق على المشنقة . . .
على صدر القميص الأبيض
كتابات :

« مناوبة
الماء ، البول
والنظافة
لسبعة أيام :
الجمعة ـ اسماعيل
السبت ـ نوري
الاحد ـ وهبي خاطف البنت . »
ذلك الذي يتوضأ في الحوض الصغير
هو وهبي بن خاطف البنت .
بوجهه المقدود من جوز الهند
وبذراعيه ، الطويلتين ،
يشبه سعدانا كثيف الشعر
نزل لتوه من أغصان الأوكاليتوس .
خاطف البنت يضرب بالماء
رقبته . . .

منديله المنشور فوق كتفيه
سقط في صفيحة البول .
حار وهبي في أمره
راح يتلفت يميناً وشمالاً .
مد ذراعه ،
دخلت الذراع في الصفيحة مثل أفعى غليظة .
أخرج المنديل .
تفتق لسان خاطف البنت :
ـ مع أن المنديل ليس إلا شبراً من القماش
فإن خمسة أشبار تساوي ذراعاً
والذراع هي التي تنجب الذراع . . . »
انقطع صوت خاطف البنت
وفُهِم مغزى كلام وهبي* .

* مثل تركي شائع .

الاثنين ـ ناظم
الثلاثاء ـ علي
الاربعاء ـ طوبال أوغلو
الخميس ـ محي الدين

محي الدين في الـ ١٣ من عمره . . .
لا يخرج من الزاوية التي يتسلل اليها مثل فأر تسلل الى جحره
الا اذا سُحب بالقوة .

يختبىء من مخالب
هرون عيناه مثل عيون الافاعي . . .

سينقلونه الى (ريزة) حيث يسجن كبار المجرمين
فجرم محي الدين خطير .

كيف لا ؟
وقد دلف
ذات ليلة
مصطحباً خطافا
الى دكانة جدّه في الظلام . . .
ستسمر آلام محي الدين
طويلا ، طويلاً ،
لا خلاص له
فجدّه هو الغريم .

١٩٢٨



حول معتوه يشبه الشعراء الرمزيين

الساعات بأكتافها العارية
تجر في أشرعتها
سفينة الليل ذات الشراع الأسود .
تتلاطم أمواج المياه في جو الزنزانة ذي الضوء الأصفر
السجناء انحنوا
على المجاذيف المتألقة
للسفينة . . .
ـ « في قلب الغابة القيت القبض على الديك
كان يحمل في رأسه مشطاً داميا .
توسّل إلي قائلاً : لا تذبحني .
لم يُذبح الديك فنصل سكيني مثلوم ،
سأخلع رأس الديك ،
سأخلعه .
سأخلعه .
سأخلعه .

ممزقاً
ممزقاً .
هات فلوسك وانصب الهدف . . .
في قلب الغابة ألقيت القبض على الديك
ديكي هذا فتح جناحين من النار
انتفض من يدي ، وهرب . »

المعتوه الذي ألقوا به في « النظارة » المقابلة
يصرخ بأعلى صوته مثل واحد من الشعراء الرمزيين ،
إنه ينادي ديكه ذا الجناحين الناريين .
ـ « في قلب الغابة القيت القبض على الديك
قال : لا تذبحني . . . »

انقطع الصوت .
ارتفع هدير الصوت :
ـ لا تضربني

لقد تحطم مشط النار !
المعتوه الآن نائم على وجهه فوق الأرض ،
ورجل يرتدي سروالا أبيض ،
يهوي ، وهو يعض على شاربيه ،

على هذه الكتلة اللحمية ،

بنطاقه العسكري الجلدي العريض . . . .

صاح الخال حسن من جانبي
وهو يتشبث بالقضبان الحديدية .

ـ لا تضربوا المجنون . . .
ضاعفوا ضريبة الطريق .
سأنام تسعين يوماً آخر !!!

امتقع لون ابن يوسف :
عيناه مثل سبطانة البندقية
مملوءتان بالرصاص . . .

سجن هوبا ١٩٢٨

بيرام أوغلو (ابن بيرم)

أنا في السجن .
وكلما اهتدت قدما قلبي
العاريتان الداميتان في السجن
إلى طريقهما الطويل الطويل
اتذكر ولا أعرف السبب
رفيقي **الاذربيجاني** : بيرام أوغلو (ابن بيرم) :

الساعة الثانية في الليل
تقريباً . . .
النائمون في الغرف المظلمة للمدينة السوداء يرون
أنسجة الألوان الدموية في أحلامهم . . .
حفارات آبار النفط السوداء
تطلق حفيفاً عميقاً مثل اشجار السرو .
العيون الناعسة تتطلع
من برك النفط الزيتية على الأرض السوداء ،
السماء سوداء ، النجوم صفراء .

الأبواب السوداء
للدكاكين ذات الطابق الواحد والسقوف المستوية والجدران
الحجرية ، مغلقة .
النائمون في الغرف المظلمة للمدينة السوداء يرون
أنسجة الألوان الدموية في أحلامهم
الساعة الثانية في الليل
تقريبا ،
أصوات النعال والعجلات
المتدحرجة فوق الحجارة .
الاصداء المترددة من الأصوات . . .
ها هي عربة الخيل ،
انها تمر ،
لقد مرت :
بالقرب من المنازل الأخيرة ،
بعيداً عنها ،
بمعزل عنها . . .

هذه لعنة سوداء ،
خرجت من شفة الليل وأقبلت . . .
هذه العربة لا يجرها اثنان من الجياد ،
بل اثنان من الهياكل العظمية .

فوانيس هذه العربة تثير الرعب
مثل العيون
العمياء العميقة
والمحفورة بالخنجر . .
اصوات النعال والعجلات
المتدحرجة فوق الحجارة ،

الاصوات المبتعدة مع الزمن

الخافتة مع الزمن . . .

في الوسط سكة الحديد ،

على اليمين : المدينة السوداء

وعلى الشمال ترتفع أسوار .

المعامل .

العربة تأتي من الجهة المقابلة ،

في داخلها بيرام اوغلو

ساعدا بيرام اوغلو

مقيدان باحكام . . .

من الجهة المقابلة تأتي العربة

وفي داخلها بيرام أوغلو

دركي عن يمينه

ودركي اخر عن شماله

قيدوا بيرامِ اوغلو

من ذراعه

جناحه ليس مكسوراً ،

وما تجمع في عينيه ليس نشيجاً ،

عيناه مملوءتان بالنور

ذلك هو ابن بيرم .

العربة قادمة من الجهة المقابلة

وابن بيرمِ في داخلها .

طريقة الموت

ذلك هو بيرامِ اوغلو

ذلك هو بيرامِ اوغلو . . .

هل هذه الجدران الاربعة هي التي عكرت قلبي ؟

هل هناك قرى خلف جدار الموت ؟؟؟

١٩٢٨



نصيحة الى اطفالنا

الشيطنة من حقك .
تسلّق الجدران الواقفة
« تعربش » على الاشجار الباسقة . . .
ولتتعامل يدك مثل قبطان ماهر
مع دراجتك المنطلقة على الارض مثل الصاعقة
حطّم بقلمك الرصاص
ذلك الذي يرسم صورة مدرس الدروس الدينية
الهيكل العظمي لقواعد اللغة
المزينة بالرماح
ذلك الهيكل العظمي بلفّته الخضراء . . .

أقم جنتك أنت

فوق الارض السوداء .

بكتاب الجغرافيا أخرسْ

ذلك الذي يضللك بخرافة « بدأت الخليقة مع آدم » . . .

تعرف على الأرض جيداً ،

وصدِّقها .

ولا تفرق بين امك

وبين الارض : امك الثانية .

تعلق بحب الأرض

قدر تعلقك بأمك . . .

١٩٢٨

الاسد الذى يتجول داخل القفص الحديدي

انظر الى الاسد الذي يتجول داخل القفص الحديدي .
انظر الى عينه :
انه يحمل حقده في عينيه الصفراوين مثل خنجرين
من الفولاذ العاري .
دون ان يفقد اتزانه
يقترب
يبتعد
يغدو
ويروح .
لن تجد مكاناً لتضع طوقاً

في رقبته الغليظة المكسوة بالشعر .
حين تتقد لسعات الكرابيج على ظهره
تشتد ركبه المنتهية بالمخالب النحاسية
وتنتصب خصلات لبدته كالاشواك فوق رأسه المزهو . .
يقترب

يبتعد

يغدو ، يروح

يروح ، يغدو . . .
طيف أخي على جدار الزنزانة
ينخفض حينا ، ويعلو حينا آخر

١٩٢٨

الصمت

في الخارج ،
تأخذ الاجواء التي تقدح الشرر باستمرار
وضعية احد قطاع الطرق

وتتقد في شرواله الاسود الزركشات المضيئة . . .

في الخارج ،
عشرون فارساً ، صعلوكاً ، أزيار نساء ،
قدموا من وديان « الأسكروز » ،
يرقصون رقصة الخناجر

ذلك في الخارج . . . .
ونحن في الداخل يخيم علينا الصمت .
لم ينغرز سهم انطلق من جناح أحد النسور السوداء
في عنق صمتنا .
في الخارج . . . .
ونحن في الداخل يخيم علينا الصمت .
صمتنا لا يرتدي سترة عتيقة

ربطت ازرارها باحكام . . .

في الخارج ،

تسبح في الهواء ، مثل سفن من النار

روائح الزعفران الاصفر

ذلك في الخارج

ونحن في الداخل يخيم علينا الصمت

صامتون كصمت طلقة الرصاص في بيت النار ،

نتحدى أن يكون هناك صدى تحت قبة السماء

أقوى وأشد زخما من سكوتنا !!!!

في الخارج . . .

في غمرة الظلمات

هناك هدير البحر ، مثل غابة اصيبت بجرح في خاصرتها .

نحن في الداخل يخيم علينا الصمت ،

الزنزانة صامتة

مثل حيوان جريح

ينزف دمه إلى الداخل . . .

١٩٢٨

قصائد ١٩٢٩



قبل التاريخ

نحن قادمون من أماكن بعيدة
بعيدة جداً
في اذاننا ما زالت تتردد أصداء
الاصوات الصاعقة للمحاريث الحجرية .
الحدود المسورة بعظام الحيوانات الدامية
عند قمم الجبال
حيث يتردد صهيل الجياد الأصيلة في الغابات
تلك الحدود هي طرف الطريق الذى سرنا فيه .
غير ان
المياه التي تنخضّ في مطراتنا
ولَوْدٌ مثل بطن حامل ممتلىء
لأم شابة ذات أرداف عريضة .
نحن قادمون من أماكن بعيدة .
تفوح من نعال جزماتنا
رائحة لحم محترق . . .

تتناثر في الهواء مثل حيوانات مجنحة
السنوات الظلماء المصبوغة بالدم
هلعة
من صوت وقع خطواتنا

وفي غمرة الظلام تتقد
ذراع ذلك
الذي يسير في المقدمة
مثل سهم من النار .
نحن قادمون من أماكن بعيدة
بعيدة جداً . . .
ولم نفقد ارتباطنا بالاماكن البعيدة . . .
فالحبل الذي احاط برقبة بدر الدين السيماونه لي
ما يزال
يذكرنا بالتراث الذي ورثناه عمن سبقونا .
لقد كنا مع اخويي الحرف من « إنغورو » ،

ونعرف جيداً

الملاك الذي في حبه

واجهنا جيوش السلطان بصدورنا المكسوة بالشعر . . .

نحن قادمون من اماكن بعيدة .

نحمل بأيدينا مثل فانوس يطلق ألسنة اللهب

رأس « غاليله » الذي أُحرق بالنار

مستديراً مثل الكرة التي تدور

أما نظارات

سبينوزا القزّاز المادِّي

فتجد مكانها المناسب

فوق أنوفنا الشبيهة بأنوف النسور .

نحن قادمون من أماكن بعيدة

بعيدة جداً

آن لنا

ان نشعل حريقاً هائلاً في بيت الليل

موقدين النار بخصلات شعرنا ؛

اننا سنحطم زجاجات الليل المظلمة
بجماجم اطفالنا ! . . . .
والذين سيأتون بعدنا
سيشاهدون ليالي الربيع ، امسيات الصيف
لا من خلال القضبان الحديدية ،
بل عبر عرائش الكروم المزدهرة .

١٩٢٩

بروميثوس ، الغليون ، وردة ، بلبل ، والخ

ليست لنا شعور طويلة مزيتة
لتلتف حول اعناق قلوبنا .
بطوننا مشبعة
بالورود والبلابل والارواح وليالي القمر وما شابهها .
نحن الآن
لا نقيم أي وزن لقضايا القلب . .
لك ان تودع عندنا
زوجتك مطمئنا دونما خوف .
نحن
نملأ غليوننا
بهتافات بروميثوس
وندخنها كما لو كانت تبغاً بلدياً مفروماً ؟
متكئين الى
برج الحرائق
نهتدي الى العيون المشعة في الآفاق .

١٩٢٩

الكلمة الاخيرة لكل كتاب من كتبي

لا تتوهم
أن في خلق الفن
تجد نكهة
لها مذاق خيارة مرّة . . .

فأبياتي أنا لا تحتوي
على طعم دموع عيني ،

ولا يمكنك أن تشرب أشعاري
كما لو كنت تشرب ملحاً انجليزياً .

١٩٢٩



مقالة ربيعية بقيت ناقصة

الأصابع الغليظة المشدودة
ضربت أسنان الآلة الكاتبة .
على الورقة
ثلاث كلمات جميع حروفها كبيرة :
الربيع
الربيع
الربيع . . .
وأنا المصحح الشاعر ،
وأنا المضطر
لأن أقرأ ألفين من الأسطر الرديئة
يوميا
مقابل اثنتين من الليرات .

لماذا
أنا
مستمر في الجلوس
مثل كنبة سوداء
تقطع جلدها
رغم حلول الربيع من زمان ؟

اعتمر رأسي سيدارته
قفزتُ من المطبعة
أنا الآن في الشارع .

وجهي ملوث
برصاص غرفة صفّ الأحرف
وفي جيبي خمسة وسبعون قرشاً .

الجو ربيع . . .

الوجنتان
الشاحبتان
لصعلوك الباب العالي
« تتبودران » عند الحلاقين
وأغلفة الكتب ثلاثية الألوان
تتألق مثل المرايا المشمسة
في واجهات المكتبات .
غير أن ملزمة واحدة من « الألف باء »
تحمل اسمي على دفتها
لا تعيش في هذا الشارع .
وما الذي تستطيع أن تعطيه يا رجل ؟ !
رأسي يتراجع الى الوراء
وجهي ملوث
برصاص غرفة صف الأحرف
في جيبي خمسة وسبعون قرشاً .

الجو ربيع

هذه المقالة بقيت **ناقصة** .

هطل المطر وجرف السيل الأسطر .

يا لكثرة الأشياء التي كنت سأكتبها ! . . . .

المحرر المتربع جائعاً

فوق ثلاثة من المجلدات ذوات الـ ٣٠٠٠ صفحة

لم يكن سينظر الى واجهة بائع كبب اللحم ،

بل كان سيرمق بعينيه المتقدتين

ابنة بائع الكتب الأرمني الممتلئة المكتنزة . . .

وكان البحر سيبدأ بنشر عبيره .

كان الربيع سيشب

مثل فرس حمراء يتفصد منها العرق ،

وأنا كنت فور قفزي إلى صهوتها العارية

سأسوقها

باتجاه الأمواه .

وبعد

كانت آلتي الكاتبة

ستتعقبني خطوة بعد خطوة .

فأقول لها :

اتركيني يا أمي

دعيني لأرتاح

ولو ساعة . . .

ثم

كان رأسي الذي بدأت خصلات شعره تتهاوى

سيصرخ للآفاق البعيدة :

إني عاشق

أنا في السابعة والعشرين من عمري
هي في السابعة عشرة .
اغواني الشيطان الأعمى
الشيطان الأعرج
الشيطان الأعمى والأعرج أغواني
قائلا : تعال وأحب هذه الفتاة ،
كنت سأقول :
لم أستطع ان أقول ،
سأقول مرة أخرى !

كان مطر

كان انهمار ،

السيل جرف الأسطر التي كتبتها

لم يبق في جيبي إلا خمسة وعشرون قرشاً

لا أبالي . . . .

جاء الربيع جاء الربيع ، نعم جاء الربيع

ويحك فقد جاء الربيع

تَبَرْعَمَ الدم في داخلي ! ! !

١٩٢٩



المخبر

هذا الرجل
باع رفيقه
باع على طبق من الذهب رأس
رفيقه المقطوع الدامي . . .
وبقدمي هذا المخلوق يتجول
الخوف
مثل طيف . . .
هذا الرجل
يعيش مثل ماء يلفه الظلام .
وعندما تغيب الشمس كل مساء ،
فان الذي يعرض عليكم كلسون زوجته ماشياً على الأرصفة
على أطراف اصابعه
هو نفسه ، تعرفوا عليه لدى اقترابه منكم !
ستعرفونه لا شك من الأجراس اللعينة
التي تقرع وهي تنوس معلقة برقبة قلبه

احذروا !
إنه يوزع علة الجذام قطعة قطعة
مع لحم روحه . . .
هذا الرجل : جائع اليوم
جائع ولكن
حتى الجوع القوي المهيب أضاع قدسيته في هذا النذل . . .
أيها الأصدقاء ، هذا الرجل
عندما غابت الشمس ذات مساء
باع رفيقه ؛
على طبق من الذهب باع رأس رفيقه .
المقطوع والدامي ! . . .

١٩٢٩

الرجل الماشي

يمشي
جبينه في السماء
ربطة عنقه الحمراء في الهواء .
يمشي
خطوة خطوة يمشي
وئيدا وئيدا يمشي .
الريح تزبد مثل البحر
والبحر يهب مثل الريح .
يسيل كالنجوم الهاوية
محاطة بالأنوار من الجانبين .
تنبعث أصوات من الأعماق
من شواطىء القلب البعيدة :
ـ الى أين ذاهب أنت يا ولدي ، الى أين ؟

عد يا حبيبي ،
عد يا أخي ،
عد يا عماد بيتي ، عد الى الوراء !
هو يمشي ،
عازفاً لحنا جنائزياً ملتهباً ، بالصفير !
هو يمشي ،
وصدره يعلو ويهبط مثل سفينة في عرض البحر .

يمشي خطوة خطوة

يمشي وئيدا وئيدا

إنه يمشي .

من يدري ؟
قد لا يدس ثانية أصابعه
بين خصلات الشعر الأشقر

لأخته التي تخيط متكئة إلى ركبته ،

قد لا يراقب مرة أخرى

قمم أشجار البتولا

مستلقيا تحتها ، كما لو كان

يراقب طريقاً أخضر يذهب الى الشمس . . .

هو يمشي ، إنه يمشي ،
يذرع الطرقات بالخطوات الواسعة المفتوحة .
وذراعاه تتأرجحان مثل زوج من المطارق الثقيلة .
صدره المغطى بالشعر بارز مثل الترس . . .
لم يعد يسمع
تلك الكلمات
التي تقطر على القلب مثل روح القرنفل

للأصدقاء المرضى والعرجان
أولئك الذين تحلقوا حول المائدة الخشبية نفسها .
إنه يمشي بنحو العدو
ناشراً عينيه على وجهه
مثل نصلي سكينين
عاريين .
يمشي خطوة خطوة
يمشي وئيداً وئيداً

إنه يمشي . . .

١٩٢٩

جواب رقم ١

أنت
أيها الرجل
يا من تحمل رأساً كرأس آبيس المقدس
يا من حاجباك مثل قرنين أسودين .
أنت !
أيها الشاب البستوني !
إنك تتكلم وفق قاموس الشعر الأصيل ،
وأنا لا أفهم شيئا عن الأصالة ،
لا أرفع قبعتي للغة التي تتكلمها ،
أنا عدو للأصالة
حتى في الكلمات .

أنت !
أيها الشاب البستوني !
أنا أعرف
سبب هذا التهور وهذه الشكوى !

وأعرف
أنك تنتظر حلول الليل
لكي تخنقني أثناء النوم .
أنا الذي حملت قيد الحديد في رسغي
كما لو كان سواراً من الذهب ،
أنا الذي حككت رقبتي الغليظة المكسوة بالشعر
ناظراً إلى الحبال المشبعة انشوطاتها بالصابون ،
فهل آبه بعد
لتهديداتك ؟!

أنت
أيها الرجل
يا من تحمل رأساً مثل رأس آبيس المقدس
يا من حاجباك مثل قرنين أسودين ،
أنت !
أيها الشاب البستوني !

أنت يا ذا الوجه الأسود
أخرجت روحك إلى السوق مثل عبد زنجي ،
وحوّلت جمجمتك الى مخدع لعاهرة . . .
سارقاً النقود
من جيوب جثث ذوي الجاكيتات الخاكية

اشتريت لنفسك
أجواء الجبال السويسرية

لهذا نرى اليوم على ظهرك الخادع الأصفر
حمرة الليرات الذهبية المصبوغة بالدماء . . .
لو عادت الرياح العجيبة الى الهبوب في رأسي
لاشتريتك بثلاث ليرات في الاسبوع
من راتبي كمصحح
ولاستخدمتك كخادم يقدم القهوة .
وأظن أنك أيها السيد تتقن مثل ذلك العمل ،
إنك ستؤديه على خير وجه . . .

أنت !
أيها الشاب البستوني !
أنت الذي وصفت الشعب بالحماقة
أنت الذي ارتديت آخر موديلات الأزياء
من جلد الشعب المسلوخ
هيا العق أصابعك الخمس الملوثة بالعسل
مثل خمس موزات فاسدة ،
وتابع طوافك محمحماً مثل خنزير معلوف .
أو تظن
أن الساحة لك وحدك ؟
إنك تخطىء .
انظر الى عيوننا ، هل تقرأ فيها شيئاً من هذا القبيل ؟!
لكي أجبرك على
أن تشرب دمك الأسود
حاصرتك باطار من النار عن جهاتك الأربع !

إلى اليمين ؟

لا مخرج !

وإلى اليسار ؟ الطريق مسدود .

إلى الامام ؟ إلى الوراء ؟

لا منفذ ! . . .

ابرم قلمك الذيلي واغرزه في قلبك

انتحر مثل العقرب . . . .

١٩٢٩



البطون المقدسة

أناجيك ، أنت أيتها الأم ذات العيون الحمراء ،
أنت يا من تقهرين وتخلقين ،
أنت يا من تنامين تحت العبّارات
بجانب المياه .

أناجيك ، أنت يا صوت الساحات المملوءة بالحرائق . .
أنت يا شعر الأشعار ، يا وزن الأوزان . . .
أنت يا اخي
أنت يا من تتعرض للقهر
أنت يا من يعلّق على أعواد المشانق .

أناجيك ،
أنت يا كل شيء
أنت يا أيها الجوع !!!

أضع جبهتي على عنقك العاري
وأقسم
قائلاً :

سأقاتل ،
حتى يشبع بطنك المقدس
لا بطني ولا بطوننا ، ولا بطنه هو ، ولا بطونهم فقط . . .

١٩٢٩

أغنية القرصان

انظروا ،
إن أغنيات القراصنة ذوي الأقراط الذهبية
تتألق في الشمس مثل نصال السيوف العريضة :
شربنا الخمور الاسبانية
من الجرار
اللعوب مثل الأرداف
المكورة للدونّا مادونّا !
امتزجت دماء البغايا المدريديات
بدمائنا !
ربطنا خمس مئة رأس من الزنوج بالسلاسل ،
ملأنا السفينة ذات الأعمدة الثلاثة ،
حملنا الشحنة
ها نحن عائدون !
خرجنا من البحر مثل السمك الطازج ؟

لا تخافي منا

افتحي ذراعيك المكتنزتين السمراوين يا مادونّا !

نحن في افريقيا قراصنة ذوو عيون مصبوغة بالدم

غير أننا تجار شرفاء في لشبونة !

قطيع ذوي البشرة السوداء العارية يهربون !

لا تتركهم يهربون اضرب من جهة

ومن جهة ثانية لا تتوقف

صُبَّ من الخمرة الاسبانية

السائلة مثل الذهب المذاب

من الجرار

اللعوب كالأرداف

المكورة للدونّا مادونّا !

ولتمتزج دماء البغايا المدريديات

بدمائنا!

١٩٢٩



قصائد ١٩٣٠



الثورة الكبرى

أربعتهم كانوا أمامي .
في بحر من الدم كانوا .

أحب الدم :
لأنه
موجود في رحم أمي

وتمتليء به سلة المقصلة . . .
أربعتهم كانوا أمامي .
في بحر من الدم كانوا .
لحقت بهم
ربتوا على كتفي :

تقهقر يا دانتون .
لا بد من موتك يا روبسبيري . . .
ليعش مارا !
أما أنا فمع بابوف .

تجاوزتهم . . .

روبسبيير دانتون

بابوف مارا . . .

ليسوا البداية ، ولا النهاية ،

الناس يولدون ويموتون

ميلاد ، وموت ، هذه هي الحياة . . .

ايار ١٩٣٠

مثل كرم

ما أثقل الهواء ! إنه كالرصاص !
اصرخ
أصرخ
أصرخ
انني أصرخ بملء صوتي !

هيا
لأذابة
الرصاص
هيا !

ويرد عليّ قائلاً :
ـ أنت ، يا هذا ، ستحترق بصوتك ،
ملتهباً
ملتهباً
مثل كَرَمْ . .

« ما اثقل الغم !
وما أخفّه ! »

آذان
القلوب
صماّء . . .
والهواء ثقيل كالرصاص . .
وأجيبه :
ـ لأَغْدُ رماداً
محترقاً
في النار
مثل كَرَمْ

فاذا لم أحترق أنا
ولم تحترق أنت
ولم نحترق نحن

فكيف ينبلج

النور

من اسار

الظلمات . . .

الأجواء حبلى كالتراب

والهواء ثقيل كالرصاص

أصرخ

أصرخ

إنني أصرخ بملء صوتي !

هيا

أناديكم

هيا

هبوا لاذابة الرصاص . . .

ايار ١٩٣٠



الشك

الى الصديق الذي باعته زوجته

أنا أشك بزوجتي :
إنها
تبيعنا
تبيع **قضيتنا** . . .
أنا أشك بزوجتي .
منذ الصباح
لم تفارق السيجارة
شفتي . . .

أنا أشك
نحن في شك . . .
إن الشك :

يتقدم في داخلي

مثل ليل حافي القدمين .

غدا
عندما تنطفىء النجوم
واحدة واحدة كشموع نُفِخَتْ .

وعندما يتجلى الليل
أسود
عارياً في داخلي
سأولد من جديد . . .

سأخنق زوجتي
قابضا
على عنقها الذي كنت أمسّده مثل المخمل . . .

ايار ١٩٣٠



إلى عارف

إذا لم يحدث ذلك الليلة
ففي مساء
الغد

سأدخل السجن .
لا أحس بأية رجفة في اعماقي . . .
أعماقي
واسعة
مرتاحة مثل نوم عميق . . .

أعماقي
واسعة
مرتاحة . . .

فأنا

أراقب

الزرقة في الاجواء

كطفل ولد حديثاً . .

أمس

ذهبت

إلى ساحة المدينة لأقول :

« ـ لا حاجة لأن نقتل اخوتنا

لا حاجة لأن نموت

من أجلهم »

إذا لم يحصل ذلك الليلة
ففي مساء
الغد
سأدخل السجن . .

لا أحس بأية رجفة في اعماقي . . .
أضع يدي تحت رأسي . . .
أصغي الى البحر . . .
وأنام . .

حزيران ١٩٣٠



الوردة الحمراء ، والاصدقاء الجياع
والطفل ذو العيون الذهبية

أخي الشاعر
لكل منا ، نحن ايضاً ، زوج من الكلام يقولهما
« عن الحب »
فنحن أيضاً نعاني من ذلك اللعين
بعض الشيء !

مر الربيع من تحت أنفك
وهو يطلق صرخاته المجلجلة
مثل قطار
تفوح منه روائح
الخشب الأصفر
والعرق والدخان والحشائش

في حين أنني كنت أريده
أن يأتي

مثل الذي يجلب الحليب
في خزانه النحاسي الأحمر .

ولكن ما حيلتي !؟
لم يأت الربيع هكذا ،

لا يأتي الربيع هكذا ،
لا يأتي هكذا ، آه منه آه!

آ . . . . ه !
ابنتي ، امي ، زوجتي ، أختي ،

أنتِ
يا من تتراقص الشمس حول رأسكَ

يا بني ، يا من عيناه ذهب
رغم أن الربيع مر من تحت أنفي
مطلقاً صرخاته المجلجلة

فانني لم أستطع أن اجلب لك
ولو باقة من البنفسج !

لم العبث ؟!
فقد كانت بطون الرفاق خاوية
فأنفقنا ثمن البنفسج على الخبز !

١٩٣٠

من الصف

بدأ العمل
وأنجز العمل . . . .
عند البدء لم يطلق صرخات مجلجلة .
أنجزه :
ولم ينادِ الجهات الأربع قائلاً
« تعالوا انظروا . . . ! »

هو واحد بالمليون من بين الملايين
هو جندي من الصف .
لا ينتمي للسلالات ذات الدماء الزرقاء الجارية في العروق
ليس حيوان سباق .
وجهه يشبه كل الوجوه .
يشرب الماء من فمه
ويمشي على قدميه . . .

بالنسبة له ؛ هناك عمل يبدأ وينتهي ثم يبدأ ،
دون سؤال أو استفهام . . .
هناك المسيرة .
دون أي توقف . . .

إنه واحد بالمليون من بين الملايين
إنه جندي مجهول من الصف . . .

١٩٣٠

(موت أحد أنفار الصف)

لا في المقدمة
ولا في المؤخرة
بل في الصف
في صفنا . . .
عندما انحنى الرأس الدامي للذي بجانبه فوق رقبته
عندما جاءه الدور
كرّر رقمه . .

لا حاجة للكلام
لا حاجة للعيون الدامعة
لا لزومٍ للعويل والصراخ
اسكتوا !
واتركوا جندي الصف ينام . . .

١٩٣٠

السيجارة التي لم تشتعل

قد يموت الليلة
برصاصة تحرق صدر سترته
هذا ذاهب الليلة إلى الموت
على قدميه . . .

قال : ـ معك سيجارة ؟
قلت : ـ نعم .
ـ وكبريت ؟
ـ لا ،
قلت :
الرصاصة ستشعل سيجارتك .
أخذ السيجارة
وانطلق . . .

ربما هو الآن نائم ممدد
وبين شفتيه سيجارة لم تشتعل ،
وفي صدره جرح نازف . . .

لقد رحل
وانتهت
اشارة الضرب . . .

١٩٣٠

جواب رقم ٢

يوجد اثنان من « الزعران »
« الأزعر » رقم واحد ،
ينام تحت الجسور ،
يحصي نجوم المياه ساعات الليل . .

يوجد اثنان من « الزعران » :
الأزعر رقم اثنان
هو الرباب الذي يعزف عليه شحّاذ بغدادي
على موائد السكر ذات الياقات المصنوعة من الأطلس ؛
يعمل نادلاً ومهرجا لدى مجلس ادارة
الامبريالية الفرنسية . . .

وأنا :
لستُ
شاعر
أولئك الذين ينامون تحت الجسور ،
ولا الآخرين الذين يبيعون الفستق الحلبي
وهم يعزفون على الربابة .
يوجد اثنان من « الزعران » ؛
« الأزعر » رقم اثنان
يعترض طريقي
ويسألني

أنا

عن : « شكل الطير

الذي أدعوه

بروليتاريا ؟ »

واضح

أن المهرِّج البغدادي

قد نسي ،

أنه قد حصد ذلك الطائر على طريق أضنة ـ مرسين

متعاونا مع المسيو الذي لا أذكر اسمه . . .

يوجد اثنان من « الزعران »
« الأزعر » رقم واحد
مثل شبح يدخل عبر النوافذ
في الليالي . . .
يوجد اثنان من « الزعران »
« الأزعر » رغم اثنان
يقدم خمر التمور في جمجمته هو

للذين يحولون عرق الشعب الى ذهب .
أنا أخذت قوتي من القرون ،

كل بيت من أبياتي يذكر بالبركان،
أنا لم أسرق ولو عشرة قروش من عرق الشعب
ولا سطراً من الشعر من جعبة أحد الشعراء . . .

يوجد اثنان من « الزعران »
« الأزعر » رقم اثنان
توهم أنني كتبت
المؤلفات الأربعة التي أطلقتها مثل أربع لعب في الساحة .
له هو .

في حين أن

عملي الثاني

الذي يخاطب أيّ « أزعر » ، هو :

اسمع يا عازف موائد السكارى ،

ياذا الياقة المصنوعة من الأطلس ،

اسمع يا حاج ، يا خادم رأس المال الفرنسي ، يا مهرّج ،

إن كتاباتي

هي الأمطار المزركشة بالبروق

لمن يهوون بالمطارق على السندان

على رقبتك الغليظة المملوءة بكتل الشحم . . .

فلو اختبأت تحت المائدة

حيث تلعق العظام ،

- مثل صديقك الشاب البستوني -

لما أخفقت في العثور عليك

لأرفعك عالياً وأهوي بك على الأرض

ولانزع منك روحك عبر أنفك . . .

أنت يا سليل ذوي الكروش الكبيرة

أنت أيها الخادم الذليل المربع

أنت أيها الذليل المكعّب

أنت يا رأس قائمةالخـدم المأجـورين ! !

١٩٣٠



حلاّق المدينة

أنا لست استاذاً للتاريخ
ولا للجغرافيا .
ولا يستثيرني مبنى
آيا صوفيا
إلا بمقدار ما يثيرني
مستودع جدرانه الأربعة مقدودة من الصخور !
تركتموني وحدي
في « الشيشلي »
لما اهتديت
إلى طريق الـ « ماتشكا » ،

غير أنني لا أعني

بما أقول ،

إنني سأعطيكم

دليلاً

زاهي الألوان .

لا ،

فأنا

سأوافيكم

بالأخبار

من قلب المدينة ذات الأربعة رؤوس

صورة هذه المدينة
تطبع بالشكل ذاته
في جميع كتب الجغرافيا ،
إلا أن اسمها
يكتب تحت صورتها
بأربعة أشكال ،
القسطنطينية ، كونستانتينوبل
دار السعادة ، استانبول .
لتعزف فرقة بار مكسيم الموسيقية ألحانها الراقصة
هيا اعزف أنت أيها الأسود ، يا ابن الكلب ،
حتى اباشر حديثي عن كونستانتينوبل .

خواتم ، أساور ، عقود ، أقراط ،
موسلين ، نقوش الصين ، أتوال ،
حرائر
ـ وهذا الادمي هنا يحوم ، حومة مسحور ، حول زوجتي !
الأصباغ ، العطور ، العطور ، الأصباغ ، ادوات التجميل ،
الأمشاط

ـ زوجي يرانا ، اتركني
ـ لا عليك
اكرعي الشامبانيا ؟!

ـ حبيبتي ، صغيرتي اشربي كأساً آخر !
البكرة ، البوكر ، البكرة ، البوكر والبريدج

واحدٍ

اثنان

ثلاثة

واحد

اثنان

ثلاثة

واحد

اثنان

ثلاثة

فا . . لس . فالس . . .

يا سنيورينا ، يا ذات العيون السود ، سنيورينا !
ضعي مروحتك على وجهك حتى لا نرى
كياني الذي انهمر من عينك نحو الحريق !
يا سنيورينا
يا ذات العيون السود
سنيورينا
ماذا تقولين
لو أتيت إلى حضنك ،
يا سنيورينا ! . . .

سنيورينا ، سنيورينا ، يا سنيورينا
لتعزف فرق بار مكسيم الموسيقية ألحانها الراقصة
هيا اعزف أنت أيها الأسود ، يا ابن الكلب
حتى اباشر حديثي عن كونستانتينوبل !!!
لا بد من نهاية .

التفاؤل

سنعيش اياماً جميلة يا أولاد ،
سنعيش أياما
مفعمة
بالشمس . . .
سنندفع بالمحركات في بحور الزرقة يا أولاد ،
سننطلق
إلى بحور الزرقة المضيئة . . .
خاصة عندما ننقل ذراع السرعة
إلى السرعة القصوى ،

فيقلب العداد أرقامه بسرعة .
يالصوت المحرك !
يا له من صوت هائل !

من يدري ، أيها الأولاد ، كم هو خارق للعادة
أن تلثم ثغر الحبيبة
وأنتما بسرعة ١٦٠ كيلو مترا . . .

عندنا الآن . .

حدائق الورود أيام الآحاد والجمع
فقط أيام الآحاد والجمع . . .

نحن الآن
نراقب واجهات مخازن الشوارع المضيئة
وكأننا نصغي الى قصص الجان الخرافية
وهذه المخازن
ذات ٧٧ طابقاً من البلور النادر .
ونحن الآن حين ننادي
يكون الجواب

افتح الكتاب ذا الغلاف الأسود :
إنها الزانزانة .

تقع ذراعنا بين أشداق « قشاط » المروحة
حطام العظام
دماء .
نحن الآن لا نرى
على موائدنا اللحم إلا مرة واحدة في الاسبوعِ .

وأطفالنا
يعودون من العمل إلى آلبيت
هياكل عظمية شديدة الصفرة . . .

إننا الآن . . . .

صدقوني :

أننا سنرى أياماً جميلة يا أولاد

سنرى أياماً

مفعمة

بالشمس .

سنندفع بالمحركات في بحور الزرقة يا أولاد

سنندفع

إلى بحور الزرقة المضيئة . . .

١٩٣٠



أربعة أشخاص وأربع زجاجات

مائدة

مستديرة .

أربع زجاجات ،

أربعة أشخاص

وأربعة كؤوس من الخمر .

نوعية

الخمر :

« ميدوك »

الكؤوس

ملأى بالخمر

فارغة من الخمر

ملأى بالخمر .

يشربون الخمر . . . .
فرغت احدى الزجاجات ،
قال أحد الأشخاص :
« ازعم ان يوم غد يوم مثير ،
سينتهي الأمر مع كلمتي الأولى :
سيُشنق
بالتأكيد ! . . . » .

فرغت ثلاث زجاجات
رد ثلاثة أشخاص ،
جاء الرد من ثلاثة أفواه :
« سنشنقه
بالتأكيد . . »

مائدة

مستديرة ،

فرغت أربع زجاجات

وأربعة أشخاص . . .

١٩٣٠



أغنية أنشدناها على مائدة الشمس

مثل مراكب تصارع الأمواج
ونحن نشق الظلمات بصدورنا
تسلقنا قمم سلاسل الجبال
حيث الأنسام أطرى ،
حيث الوديان السحيقة أعمق
حيث الاجواء أكثر تألقاً وضياء
وراءنا طريق الظلمة مثل عيون الأعداء .
أمامنا ، ها نحن بين أصدقاء
طاساتهم النحاسية مملوءة بالشمس !
نحن على مائدة الشمس !
اصطفوا يا أولاد
عينا لعين
كتفا لكتف

ولتضرب أطيافكم وجه السماء بين الجبال !
هيا اقرعوا الطاسات ببعضها يا أولاد ،
هيا املأوا ،
املأوا الطاسات ،
املأوها ولنشرب
يا اولاد .
ولنشرئب
بالرؤ وس
إلى الأعالي
ولنمر من المفاوز . .
يا أنتم ! من أين سنمر ؟
لنمر
من حيث تمر الجمال

ونحن نركض

حفاة .

هيه

هوب

هيييسه

هيا فلنمر

جميعاً معاً .

هيا املأوا الطاسات

املأوها

ولنشرب أيها الأولاد . . .

نحن بين الأصدقاء !

نحن على مائدة الشمس !

١٩٣٠



عامي الـ ١٩

أنت يا أول أطفالي ،
أنت أيها المعلم الأول لي ،
أنت يا أول الرفاق ،
أنت يا عامي الـ ١٩
أحترمك كأمي .
وسأبقى احترمك .
اسير على أول الطرق التي ذرعتها
وسأبقى أسير .
أنت يا أول أطفالي ،
أنت أيها المعلم الأول لي ،
أنت يا أول الرفاق
انت يا عامي الـ ١٩
رأسي يتدحرج في أقاليم بعيدة .
عامي الـ ١٩
يجلس عند وسادتي

محتضنا يدي بين راحتيه
ويقول لي :

ـ « لنستعدْ في رأسينا
أيام الشباب يا روحي ،
تلك الأيام ذات الجمال الرائع . . .

. . . .
نقطة انعطاف الاندفاعات المزبدة
سُدس العالم :
تلك الأم

التي تنجب في بحر من الدماء . . .

ذلك السباق مع الجوع
من خلال مطاردة الدبابات

حفاة عراة من محطة الى محطة . .

أطوال الشرقيين بالكيلومترات

طول الموت شبر واحد . . .

شمس :

في القفقاس

. .

وثلوج :

في سيبريا . .

اطلق صحيتك الى

مداها . . .

في الـ ٢٤ ساعة ، ٢٤ ساعة لينين

٢٤ ساعة ماركس

٢٤ ساعة انجلس

ومئة كبيك* من الخبز الاسود

و٢٠ طناً من الكتب

وشيء ما لـ ٢٠ دقيقة !

* عملة روسية.

يا لها من أيام
كانت تلك الأيام يا صاح ! . . . »
رأسي يتدحرج في أقاليم بعيدة .
عامي الـ ١٩ يختبىء في الظلام .
أشعل المصباح
أنظر إليه مندهشاً .
بمحبة ،
بأحترام
أنظر إليه نظرة مفعمة بما لا أفقه من الأشياء .
أحدنا ينظر إلى الآخر . . .
خلف جدار السنين صفّق جناحه
برج ساعة « ستراسنوي بلوشد » .
وطالب « دار الفنون » في غمرة الحرب الأهلية .
يعيش أياً من ساعاته الـ ٢٤ :
حساء السمك ، تدريب على البندقية ، مسرح ، باليه ،
كتاب . . .

المادة ، الوعي ، الاستغلال ، القيمة الزائدة ،
كتب . . . كتب . . . كتب . . .
لا ،
للمنكير ،
نعم ،
لفرشاة الأسنان ،
كتب . . . كتب . . . كتب . . .
ما هذه الساعات الـ ٢٤ يا صاحبي
ما هذه الساعات الـ ٢٤ !؟

الحب :
رفيق .
الاستاذ :
رفيق .
الزنجي
جوني

الألماني

تلمان

الصيني

لي

وعامي إلـ ١٩

مع هذا الرفيق ، وذاك الرفيق ، وذلك الرفيق

كلهم رفاقي . . .

رأسي يتدحرج من خلف السنين

رأسي يتدحرج .

اشتعلت السنون في شعرها الطويل ،

تحترق السنون

إنها تحترق ، نعم تحترق . . .

اقرأ

أكتب

اشطب

اصرخ
اصرخ
خذ نَفَساً بكل قوتك . . .
إن الثورة
في رأسك ،
في قلبك ،
في لحمك ،
في هيكلك العظمي . . . .

الثورة :
في النهار وفي الليل . . .
حارقة ليلاً أغصان السرو في الغابة
ناظرة إلى قرص القمر

الناصع البياض ،
والكامل الاستدارة ،

تنطلق الأغنيات الجماعية . . . .
في هذه اللحظة ،
تندفع فرحة مجنونة أنجبها ألم كبير ،
تقفز ، تزيد ، وتتفجّر
في رأسك .
هـ . . يا يـــــدا ،
أنت فارس الجواد الأحمر
أنا فارس الجواد الأحمر
نحن فرسان الجياد الحمر
الحمر . . .
نطارد الجيوش البيضاء مثل الآفاق الغائمة . . . .
مرت تسعة من الأعوام .
يا عامي الـ ١٩ ،
على الليالي التي
سرحنا فيها مع القمر
ننشد أغانينا سوية

ونحرق أغصان السرو في الغابة . . .

أنا

ما زلت أغني القصائد ذاتها .

لم تستطع الرياح أن تجعلني ورقة في مهبها ،

أنا الذي سقت الرياح أمامي . . .

وأنت القادر على هدم ما لا يهدم .

يمكنك أن تحدّق في عينيّ

وأن تشد على يدي . .

أنت . . .

نعم أنت . . .

أنت يا أول أطفالى ،

أنت يا معلمي الأول ،

أنت يا أول رفاقي

أنت يا عامي الـ ١٩

١٩٣٠



الوداع

وداعا

يا أصدقائي

وداعا !

آخذكم معي

في روحي

في أعماق روحي ،

وآخذ نضالي في رأسي .

وداعا

يا أصدقائي

وداعا . . .

لا تلوحوا لي بالمناديل

مصطفين على الرمال

مثل العصافير التي في الصور .

لا حاجة لذلك

أنا أرى نفسي في عيون الأصدقاء
أراني كلي بطولي وعرضي . . .
آه أيها الأصدقاء
يا اصدقاء النضال
ويا اخوة العمل
أيها الاصدقاء آه !. .
كلمة وداع واحدة بلا أوزان . . . .
الليالي ستدفع مزلاج بابي ،
وفي النوافذ ستنسج السنون أنسجتها .
وأنا سأصدح بأغاني السجن
مثل حداءات النزال والقتال .
سترون ثانية
يا أصدقائي أنا

ستر ون فيما بعد . . .
أننا سنكون معاً حين نضحك للشمس
وحين نقاتل . . .

آه أيها الأصدقاء

يا أصدقاء النضال

يا اخوة العمل
أناديكم أيها الرفاق . . . !
و . . دا . . عـا . . . !!! . . . .

١٩٣٠



المارد ذو العينين الزرقاوين والمرأة الصغيرة وخنفساء الشجر

كان مارداً ذا عينين زرقاوين .
أحب امرأة بالغة الصغر .
حلم المرأة عش صغير ،
بيت صغير
تتفتح في حديقته
أزهار عريشة خنفساء الشجر .
كان المارد يحب كما يليق بالمارد .
ويداه كانتا مهيأتين .
لانجاز الأعمال الكبيرة ،
ولا تستطيعان ان تقيما مثل ذلك العش .
ولا أن تقرعا
باب ذلك البيت
المحاط بحديقة
تتفتح فيها أزهار خنفساء الشجر .

كان مارداً ذا عينين زرقاوين .
أحب امرأة بالغة الصغر .
كانت المرأة شديدة الضآلة .
تاقت المرأة للراحة
تعبت على طريق المارد الطويلة
فدخلت ، وهي بين ذراعي صعلوك ثري ،
بيتاً
محاطاً بحديقة
تتفتح فيها أزهار خنافس الأشجار .
قائلة « وداعا » للمارد ذي العينين الزرقاوين ،
الآن فهم المارد ذو العينين الزرقاوين ،
أن ذلك البيت المحاط بحديقة
تتفتح فيه أزهار خنافس الأشجار
لا يصلح حتى لأن يكون مقبرة للعواطف الشبيهة بالمردة
١٩٣٠

أبحر أيها القلب

أبحر ايها القلب
ارفع المرساة .
اصعد الى قمرة القبطان
مثل اميرال أحمر .
البحر أمامك
عين زرقاء
عملاقة
تنظر اليك
معقودة الحاجب . .
أبحر أيها القلب
حل الحبال
أيها الاميرال
وارفع المراسي
اصعد ، أيها القلب ، إلى قمرة القبطان . . .
الجو مفعم بروائح المروج
هيا شم البحار الفسيحة مثل مهر . . .

حذار من ان يدير رأسك
خط الزبد الذى يتعقب سفينتك
ويتصل بالمتخلفين عن الركب . . . .

هيا ، أيها القلب ، أبحر .
حل الحبال
أيها الاميرال
وارفع المراسي .
ادفع السفينة في عيون الأمواج
ولا تبال بما قاله « فكرت » . . .
صدِّق البحر
الذي هو ابنك وأمك .
أبحر أيها القلب .
أبحر بعيداً
أبحر ايضاً
وايضاً
هيا ، أيها القلب ، أبحر أبحر . . .

١٩٣٠

قد . . .

قد أنشر طيفي على اسفلت الطريق ذات صباح
متأرجحا عند رأس الجسر
قبل ذلك اليوم بكثير .

وقد أبقى سليماً معافى
وعلى ذقني الحليقة
آثار لحية بيضاء
بعد ذلك اليوم بكثير . . . .

فاذا بقيت حياً
بعد ذلك اليوم بكثير

سأعزف على الكمان

في أمسيات الأعياد

مع سائر المسنين الذين بقوا على قيد الحياة مثلي

مستنداً الى الجدران

عند أطراف ساحة المدينة . . . .

فيما تتردد على الأرصفة المضيئة

في ليلة بالغة الروعة

أصداء خطوات

الناس الجدد

الذين يغنون الأغنيات الجديدة . . .

١٩٣٠

قصائد ١٩٣١



نبأ

جاء نبأ منهم .
من هناك
منهم .
قمصانهم ليست وسخة
ولا حواجبهم مقطبة .
غير أن شعورهم

طالت قليلاً .

لم يصرخوا :

« احترقنا ! »

إنني أعرف أنهم صمدوا :
ولم يصرخوا :

« نحن صمدنا ! »

قيل انهم ينظرون
بعيون ضاحكة

على أصداغهم آثار جرح طازج
ولكن حواجبهم ليست مقطبة .
إلا أن شعورهم
طالت قليلاً .

١٩٣١

من التراب والنار والحديد

سيولد منا أكمل من وُلِد
من التراب
ومن النار
والحديد .

. . . .
. . . . ودونما خوف
أو تفكير
ستتصافح ايدي الناس
وسيقولون ، ناظرين إلى النجوم
ـ « ما أجمل الحياة ! »

إنهم سينشدون أغنية لم تسمع من قبل
عميقة كعين الانسان ،
منعشة كعنقود من العنب ،

فرحة ،
ومريحة . . .
لم يسبق لشجرة أن أعطت
مثل هذه الثمرة الخارقة
للعادة .
وما من ليلة صيفية واعدة
تبلغ الصباح

بمثل هذه الأصوات
وهذه الألوان التي لا تصدَّق .

سيولد منا أكمل من وُلد
من التراب
من النار
ومن الحديد . . .

١٩٣١



البرقية التي جاءت في الليل

البرقية التي جاءت في الليل
تتألف من أربعة مقاطع
« لقد توفي »
دون توقيع .
حتى هذه المقاطع الأربعة كثيرة .
أحدق في الجدار :
على الجدار جرح -
على الجدار صورة -
ذلك الذي توفي ،
نقشتها بيدي .
الساعة : الواحدة
الساعة : الثالثة
الساعة : الخامسة .
صفارات البوليس ، الساعات . . .

سريري على حاله .
في الدرج بعض الأوراق .
بعضها
مخطوطات يده .
البرقية التي جاءت
تتألف من أربعة مقاطع .
الفجر يكاد ينبلج -
غرفتي مملوءة بالليل .
الرجل الذي تجوس أطياف يديه
على راحتي
رأى قماش سرواله الموشى بالحرير
من خلال الحديد المشبك .
وطبيب السجن
مغطياً بمعطفه وجه المتمدد بطوله

قال :

- انتهى !
ربما منذ مساء أول البارحة .
مساء أول البارحة

وأنا . . . .

الباعة يمرون بأزقة الحي .
أحدّق
في البرقية
التي جاءت في الليل .

ذلك العقل الراجح
ذلك القلب الكبير ،
كان رجلاً بقبضتيه
وطفلاً بعينيه .
كان رأساً دون حدود ودون إله .

ثان رفيقاً .
ا سارع الأعداء إلى الشماتة
ولیسارع الأصدقاء إلى الصفوف .
أما أنت فلك أن تبكي دون أن تبين دموعك
بسبب البرقيات التي تأتي في الليل .

١٩٣١

المدنية التي أضاعت صوتها
(ثلاثة رجال)

اقلب العداد
صفر .
المدنية
سكتت
انقفلت
فكأنَّ المدنية من الاسفلت والبيتون :
سنة . . . وتسع مئة والف
في شهرها الـ . . .
الجادة فارغة
لك أن تجري من طرف إلى طرف .
الجادة فارغة
فارغة تماماً
مثل جيبي . . .
الماء مقطوع لا يسيل . . .
لا هدير احد المحركات
ولا صوت عجلة تدور .

ا، يح :

تجرجر فوق الاسفلت اسم المستر فورد :

ورقة اعلان زاهية الألوان اقتطعت من الجدار ! . .

والرصيف يقاوم . . .

؛لاثة رجال .

؛لاثة رجال يقفون .

ملى ذراع الأول

كمان مكسور ،

وعلى رأس الثاني اسطوانة

على ظهره « فراك » ،

الثالث عار مثل سعدان كثيف الشعر . . .

شارع .

اعبر الشارع من جهة إلى جهة

وأنت تصفر لحنا

وتحك رقبتك ،

لا خوف من الدهس . . .
لا هدير احد المحركات
ولا صوت عجلة تدور . . .
الريح :
تقطب مع الزمن حواجبها السوداء .
أصوات الصافرات ملأت المنعطفات .

ثلاثة رجال
ثلاثة رجال يقفون
ويضربون الأرض بأعقابهم
وهم ينشدون احدى اغنيات السكارى . . .

لا تصروا على الصراخ وسط الشارع ،
لا تضربوا الارض باعقابكم .
عبثا ،
عبثا تحاولون استنطاق الاسفلت !
إنه عبث ،

فالمدينة التي أضاعت صوتها لا تتكلم
إلا إذا لمست
الأيدي المسجونة في جيوبهم
أوتار النحاس . . .

ثلاثة رجال
ثلاثة رجال يقفون :
على ذراع الأول
كمان مكسور
على رأس الثاني اسطوانة
وفوق ظهره (فراك) ،
الثالث عار مثل سعدان كثيف الشعر . . .
ثلاثة رجال ،
يختفون في الظلام وهم يترنحون . . .

١٩٣١

حول القميص ، والبنطال والكاسكيت واللباد

إذا وجد
من يقول عني :
« إنه عدو
ارتداء القمصان النظيفة »
فلينظر الى الصورة العظيمة والجليلة .
سترة معلم المعلمين : ماركس
كانت مرهونة ،
ربما كان يكتفي بوجبة طعام واحدة
كل أربعة أيام .
غير أن لحيته الجليلة
كانت تتماوج
فوق قميص
ناصع البياض ،
بالغ النظافة
ياقتها منشاة . . . .

من ذا الذي أصدر حكماً باعدام البنطال المكوي ؟
يا لهم من عجول !
ليقرؤوا تاريخنا نحن أيضاً :
« حين كان الرصاص في ١٨٤٨
يمر برأسه مثل مشطمن الحديد
كان أكبر البشر انجلس
يرتدي بنطالاً مكوياً مثل الشمع
من القماش الانجليزي الخالص ،
وعلى الموضة الانجليزية الخالصة
بالطريقة الانجليزية . .

أما فلاديمير ايليتش أوليانوف لينين ،
فحين تسلق الحاجز مثل مارد من نار
كان بالغ الأناقة
وربطة عنقه تتطاير . . .

وأنا :

أنا شاعر بروليتاري عادي ،
أنا مؤلف من الوعي الماركسي ـ اللينيني
وثلاثين كيلو من العظم ،
وسبع ليترات من الدم .
وحوالي كيلومتر أو اثنين من
الشرايين والأوردة ،
اضافة إلى العضلات واللحم والأعصاب والجلد ؛
فلا الكاسكيت خارج رأسي
يدل على ما في داخله . . .
ولا بدلتي الوحيدة تستطيع أن تجعلني
أداة للماضي الذي انقضى . . .
بالرغم من ذلك أنا :
إذا بقيت معتمراً كاسكيتي ستة أيام في الاسبوع ،
فانني في واحد من أيام الأسبوع
حين أكون خارجاً للنزهة مع حبيبتي

أرتدي طقمي
الجوخي الوحيد
بالغ النظافة . . .

ولكن لماذا
لا أملك اثنتين من البدلات ؟
ما رأيك يا أستاذ ؟
هل أنا كسول ؟
لا !
١٢ ساعة في اليوم
أربط الصفحات ،
وأبقى واقفاً
حتى يهدني التعب ،
ذلك يعنى العمل الجاد والمجهد . . .
هل تظننا جهلة لا نعرف شيئاً ؟
لا !

مثلا : أنا لست بمستوى « بع واشتر »
بيك من حيث الجهل . . .

هل أنا أحمق ؟
لا ، ليس كثيراً . . .
قد أكون على شيء من قلة التنظيم والترتيب . . .
ولكن
السبب الأساسي :

أنني بروليتاري .
نعم يا أخي

بروليتاري !!

ولن يصبح عندي ، مثل غيري
من البروليتاريين ،
اثنان من البدلات الجوخية
إلا بعد أن أصبح ـ نصبح نحن ـ
أصحاب معامل النسيج

في بورساليno - هابك - موسان - مالشستر ! . . .

وإلا

فلا !! . . .

١٩٣١ / ٢ / ٥

جواب رقم ٣
رجل مضحك

بعيونهم وآذانهم ، بايديهم وأرجلهم
بخاناتهم وحماماتهم ، ببناياتهم ، وقصورهم .
بصفحاتهم الـ ١٦ ، بمطابعهم ، وتمدرعاتهم .
بشوكاتهم وسكاكينهم ، بصحونهم وكؤوسهم ،
باتباعهم واعوانهم
شنوا الهجوم ! . . .
بينهم واحد ، يا له من واحد ،
يا له من واحد غريب .

فما ان تلامس يدك يده ،
ما أن تشد على يده ،
حتى يسحبها مثل ألعوبة ركّب فيها جرس ، مثل طفل
حاد اللسان . . .

يا له من شخص مضحك !
إنه السيد أصيل بن ترتقال .
بخاناتكم وحماماتكم ، ببناياتكم وقصوركم ،

..ـم كاتكم وسكاكينكم ، بصحونكم وكؤوسكم ،
بـ تباعكم و عوانكم
بادرتم إلى الجحود !

إذا كان هناك حق
فمن حقكم أن تهاجموا . . .
أيها السيدان
مع كليكما تقاسمنا
الخصص ، حصة حصة !
الآن أتى دوره ،
فليت !!
هيا تعال ، أنت
أيها الخطيب
يا من تدفع بكلابك إلى الأمام
وتقطع الطرق في الليل . . .

١٩٣١

قصائد ١٩٣٢



جواب رقم ٤

هذا الكلام موجه الى اولئك الذين
ينشرون ايديولوجية الفاشية- الجديدة
على شكل عقيدة، او دين جديد، متهربين
من اقرار حقيقة ما يفعلونه، وقد يحس
من يزعمون بأنهم لا يأكلون مثل هذا الهواء
بشيء من الحرج، من خلال اعتباره
موجهاً إليهم، فأقتضى التنويه.

هم يريدون
أن تتدحرج رؤوسنا غداً
بفؤوس ذات النصال المزدوجة -
أمام ذوي القمصان السوداء المخططة بالأبيض
وبناطيل الجولف
من الكادرويين . . .

أيها الاخوة !
إذا التقيتم بهم في الطريق
فأديروا رؤوسكم كما لو انكم رأيتم الموت .
فيما تحدق العيون الصفراء عديمة الأهداب في عيونكم
فقد ينغرز خنجر
في ظهركم من الخلف . . .
إنهم يريدون
ان نبيع نحن ،
ضياء رؤوسنا ، وطاقات سواعدنا
في السوق بأسعار بخسة .
حتى يتوقف قلب الأرض السوداء ،
إنهم يريدون
أن ننام تحت الجسور

مثل فراخ السمك المرمية على اليابسة
حين تبدأ نظرات

عيوننا تغيم

حين يتباطأ جريان الدم

في عروقنا .
أيها الاخوة :
إذا لامست أيديكم أيديهم مرة
فسارعوا وصبوا سبع طاسات من الماء على ايديكم
وأنا سأمزق قميص العيد
لأجعله منشفة لكم . . . .
نحن
نحن الذين نشدو الأغنية نفسها باللغات المختلفة
نحن

نحن الذين نضع رؤوسنا على الأرض جنبا إلى جنب
كما لو كنا ننام فوق الوسادة نفسها ،

نحن

سنموت

لأن بشرة وجوهنا سمراء ، بيضاء ، سوداء

لأن شعرنا مصبوغ بأصبغة مختلفة

ونحن نصب أمعاء بعضنا في أكفنا

وننتزع حلوق بعضنا بأسناننا .

والكادرويون

سيدفنون في المقاعد المخملية الوثيرة

بناطيلهم الجولف

وهم يبرزون

البياض الناصع لأشرطة قمصانهم السوداء . . .

أيها الاخوة !

إذا كانت أسماؤكم شبيهة بأسمائهم
فسارعوا إلى تغيير أسمائكم .
وأن تلجوا الباب الذي دخل الوباء منه
أسلم لكم من ان تخطوا خطوة واحدة الى بيوتهم . . .
انهم يريدون
ان تتدحرج رؤوسنا غدا
بفؤوسهم ذات النصال المزدوجة
أمام ذوي القمصان السوداء المخططة بالأبيض
وبناطيل الجولف

من الكادرويين . . .

١٩٣٢

الذين عرفتهم هناك

- ١ -

قفص
وكناري ،
جناحان صفراوان
يرتطمان بالأسلاك
وكتب ، كتب . . .
كتب الشعر
من بوشكين الى ماياكوفسكي . . .
وكتب ، نعم كتب . . .
كتب المادية التاريخية في الفلسفة
وأجزاء « رأس المال » الأربعة في الاقتصاد .
وكمان
ينام في علبته مثل طفل ولد حديثا .
النافذة مفتوحة
والمدينة في الخارج
غارقة في نومها المقمر . . .

العينان .
عيناه مثل قطرتين زرقاوين
مشعتان ، واسعتان . . .
ولحية
شقراء
متجعدة .
وجهه أبيض . . .
النافذة مفتوحة .
ليل
صيف . . .
كلانا في الغرفة
هو يقول :
ـ « ليت أطفالنا في حدائقهم
ينشدون اغنياتي أنا »

وهم يدورون في حلقة
ممسكين بأيدي بعضهم .
أجمل الأصوات التي سمعتها :
هو ذلك السؤال عن النجوم
من طفل كان نائماً على ركبتي
في ليلة صيفية

قفص
كناري ،
وكمان :
ينام في علبته مثل طفل ولد حديثا .
النافذة مفتوحة .
المدينة في الخارج .
غارقة في نومتها المقمرة . .

كلانا في الغرفه
هو يقول :
.. « ليتني كنت
واحداً من حراس الكتب
في مكتبة نوافذها مشمسة
إنها أكثر المتع التي أحسست بها بعداً عن أن تروى
تلك التي أحسست بها وأنا أصبح مع كتاب ممتع
كما لو كنت ادرك الصباح
على وهج البحار الجنوبية المملوءة بالنجوم . . . »
كتب ، نعم كتب ،
كتب الشعر
من بوشكين الى مایاكوفسكي .
كتب المادية التاريخية في الفلسفة
وأجزاء « رأس المال » الأربعة في الاقتصاد .

العينان .
عيناه مثل قطرتين زرقاوين
مشعتان ، واسعتان .
على الجدار « طبنجة »
من نوع ناغانت . . .
النافذة مفتوحة .
في الخارج صيف .
العينان .
وجهه أبيض .
كلانا معا :
هو يقول :
« الذين يهبون للثورة
قلوبهم ، رؤوسهم واحشاءهم
هم ـ بكلمة واحدة ـ الأثقل أحمالاً بيننا . »

وجهه أبيض .
النافذة مفتوحة .
ليل .
صيف . . .

١٩٣٢

الذين عرفتهم هناك

- ٢ -

« رفيق ناظم
ابنتي أنا
في الخامسة من عمرها .
أما أم ابنتي أنا !
فمن مواليد ١٩٢٢ !
ابنتي أنا
استمعت إلى أولى اغنيات العمّارين
لدى تشييدنا البنيان

البناء ارتفع
البناء كبر .
في المبنى الجديد نساجون جدد
ينسجون أقمشة جديدة بألوان جديدة .
ابنتي كبرت ،
ابنتي أنا تقرأ الألف باء .
وأنا كبرت ،
أقرأ الفلسفة . . . »

•ائدة .

إلى جانب المائدة

الرفيقة ماروسا

بملابسها البيضاء من الكتان .

الصور على الجدران ،

تنظر إليك وكأنها حالمة

الصور على الجدران ـ

بعضها مأخوذ في باحة احد المعامل

وعلى بعضها الآخر

كتابات مغولية ، أويغورية ، صينية ، لاتينية ،

روسية ، تترية .

مائدة •

على المائدة

كأس اوكراني ازرق .

وقرنفلات .

صوت ماروسا :

ـ « عام ١٩١٨

ونحن في طريقنا الى كييف بقطار مدرّع

شتاء .

ليل .

ثلج ،

على صفحة القمر

السهوب الأوكرانية تحت الثلج

تشبه مشهداً مجسما

ليس في الجو صوت انسان واحد .

ليس هناك في الجو الصامت

مثل عالم متجمد فوق العالم

إلا أغنية العجلات .

شتاء .

ليل .

ثلج .

« العيون الجائعة والثيران الجائعة »
. بع ثوان . . .
« الأرض تنتظرنا »
خمس ، ست ، سبع . . .
ا نخفت
الشعيرة
على السبطانة .

الثواني تتسابق .
سددت البندقية .
احترقت خمس طلقات خلف الهاربين .
ولا واحدة منها
أصابت
الهدف .
كيف جرى ذلك ؟
المرأة التي تصيب البجعة الطائرة في الجو في عينها ،

لم تستطيعي أن تصيبي . . .
كان ينبغي أن تفعلي . . .
في المعركة
لا يُسأل عن اسم عائلة العدو .
في محرس الثورة
لا يمكن الوقوف بقلب ملتف
مثل كرة الخيطان . .

. . . .
شتاء .
ليل .
ثلج .
وذكريات . . .
نعم ، ذكريات . . . .

امامنا في العربة يغطون في النوم .
الباب مشرع .
النجوم تتساقط الى الداخل .
القطار يمزق الليل كما لو كان يمزق قماشاً حريرياً .
رفاقنا يغطون في النوم
وأنا أحرس
اثنين من الفلاحين
اسرناهما من (ماخنو[1]) .
النجوم تتساقط إلى الداخل .
عيون الأسيرين تتوسل
عيني :
- « اتركينا
اطلقي سراحنا
اتركينا . . .
فالعيون الجائعة والثيران الجائعة
في انتظارنا . .

الأرض تنتظرنا .

اتركينا

أطلقي سراحنا . . . »

الباب مشرع .

النجوم تتساقط إلى الداخل .

أستطيع أن أقتل

غير أني لا أستطيع أن أنظر إلى العيون المتوسلة ،

أدرت رأسي إلى الوراء . . .

و

حين نظرت مرة أخرى

كان هيكلان للخوف يجريان فوق الثلج .

جلست على ركبتي .

سددت البندقية

مرت ثانية . . .

« اتركينا . . »

ثلاث ثوان

الرفاق أرسلوا من القرية
ألا تأكلون خبزاً أوكرانيا ؟
غطاء كتّاني أبيض .
خبز اوكراني اسمر ومكتنز .
رائحة صيف مشوبة بالجودار في الرغيف الأسمر .
مائدة .
بجانب المائدة
الرفيقة ماروسا
بفستانها الكتاني الأبيض . .

(١) ماخنو : احد الفوضويين الكبار في الحرب الاهلية السوفييتية

١٩٣٢

حول كيفية موت روسيا القيصرية

التي احبت دور الحارس الدموي للمصالح الأمبريالية في الشرق طوال سنوات عديدة

الف وتسع مئة وسبعة عشر
تشرين الثاني . . .
بصوته الناعم والعميق
قال لينين :
« أمس كان مبكرا ، غداً الوقت سيفوت
اليوم هو الموعد الصحيح ! »
العمال الغارقون في الشحوم باحذيتهم الثقيلة الملوثة بالشحم :
قالوا : « اليوم ! »
الساتر الذي يقتل الموت جوعاً قال :
« اليوم ! »
أفرورا[1] بمدافعها
الثقيلة ،
الفولاذية ،
السوداء

(١) البارجة التي اطلقت نذير الثورة

قالت : « اليوم ! »
وكررت : « اليوم ! » . . .

لا صرير الأذيال الحريرية السكرانة
في قصر الشتاء
بعد اليوم ،

ولا الأدعية المجنونة للقيصر

عبر نواقيس يوم قيامة المسيح ،

ولا أنين القيود على الطرق المؤدية الى سيبريا . . . .
بعد اليوم .
لا ، لن تعود الشوارب الشقراء المتدلية للأمراء الصغار

لتبتل في أقداح الفودكا .
ولن تحترق

بعد اليوم ، اللحى النحاسية
للفلاحين الذين يموتون جوعاً
مثل حفنات من الدم فوق التربة السوداء .
لا ، لن تدوس بعد اليوم
تلك الشوارع المغطاة بالثلج
عربات القيصر
التي تمر مثل الرياح السوداء .
لن تتدلى خصلات شعر العاملات
ونساء العمال :
بعد الآن ، من حراب القوزاق ذوي القلابق السوداء
احترق جناحا النسر الأسود ذي الرأسين ،
سقط على الأرض ،
مات .

على شاطىء بحر البلطيق المتجلد

انغلقت نافذة .

ونافذة أخرى فتحت . . . .

في ألف وتسع مئة وسبعة عشر

تشرين الثاني ، كان ذلك . . .

١٩٣٢

أهلاً وسهلاً

أهلاً وسهلاً !

غيابك عنا كان فوق رؤ وسنا

مثل ذراع مقطوعة . . .

أهلاً وسهلاً !

طال الفراق .

اشتقنا . . .

انتظرنا . . .

أهلا وسهلا !

نحن

كما تركتنا .

فقط زادت مهارتنا قليلاً
في تقصيب الحجارة ،
وفي تمييز الصديق من العدو . . .
أهلا وسهلاً !
المكان جاهز .
أهلاً وسهلاً .
ما أكثر ما نريد أن نسمع ونقول .
غير أننا لا نملك وقتا للكلام الطويل .
هيا لنمش

ليلة الأربعاء . ٥ تشرين الأول ١٩٣٢

٢١ / ١ / ١٩٢٤

لا تشعل المصباح ، اتركه ،
لا حاجة لأن يسقط رأس انسان أصفر
على الثلج من النافذة
يهطل الثلج
على الظلمات .
الثلج يهطل
وأنا أتذكر .
ثلج . . .
المصابيح العملاقة

المعلقات مثل شموع نفخت . .
والمدينة

بقيت مثل شخص أعمى

تحت الثلوج المتساقطة .

لا تشعل المصباح ، اتركه !

الآن أفهم أن الذكريات التي تخترق القلب

كالسكين

لا لسان لها .

الثلج يهطل

وأنا أتذكر .

١٩٣٢

قصة فراق

قال الرجل للمرأة :
ـ أحبك ، ولكن كيف ؟
احبك إلى درجة أنني
اعتصر قلبي كما لو كان وعاء من الزجاج
أكسره
أثير جنونه
جاعلاً الدم ينزف من أصابعي . . .
قال الرجل للمرأة :
ـ أحبك ، ولكن كيف ؟
أحبك مئة بالمئة ، ألف وخمس مئة بالمئة

مئات لا عد لها بالمئة
حبا عمقه بالكيلومترات ، طوله بالكيلومترات ، . .
وقالت المرأة للرجل :
ـ نظرت
بشفتي ، بقلبي ، برأسي :

ﻧﻌبة ، خائفة ، حانية على

..متك وقلبك ورأسك .

..ل ما أقوله الآن

..ل وشوشة في الظلام علمتني إياه . . .

.صرت أعرف :

أن الأرض

ترضع طفلها الأخير ، أجمل اطفالها

ـ ووجهها كوجه أم غمرته الشمس ـ . .

ولكن ماذا أفعل ؟

فقد التف شعري

حول اصابع ذلك المحتضر

ومن المستحيل

أن أحرر رأسي !

أما أنت

فعليك أن تسير ،

محدقاً في عيني
الطفل المولود لتوه . . .
أنت
عليك أن تسير
تاركاً إياي . . .
سكتت المرأة ،
تعانقا .
سقط أحد الكتب على الأرض . . .
انغلقت احدى النوافذ . . .
افترقنا . . .

١٩٣٢

ثلاث أشجار من السرو

أمامَ بيتي كانت ثلاث أشجار من السرو .
ثلاث سروات .
جذورها في الأرض ، رؤوسها عند النجوم ،
ثلاث سروات .
كانت السروات تتمايل مع الريح .
ثلاث سروات .
ذات ليلة اقتحم الأعداء البيت ،
ثلاث سروات .
أنا قُتِلْتُ في فراشي .
ثلاث سروات .

قُطعت السروات من جذورها .

ثلاث سروات .

لم تعد جذورها في الأرض ، ولا رؤوسها عند النجوم .

ثلاث سروات .

ما عادت السروات تتمايل مع الريح .

ثلاث سروات .

تنام ممزقة في موقد من الرخام

ثلاث سروات .

تضيء فأساً نصله مصبوغ بالدم

ثلاث سروات .

١٩٣٢

السرير المتنقل

هذا سريره ،
إنه سرير متنقل .
كان كل صباح
يخرج من هنا الى الطريق .
وكل مساء ههنا
يفك أربطة حذائه المبلول .
عند طرف السرير مجموعة من الكتب . . .
أفتح
كتبه
واحداً اثر واحد .
أرى فوق
الأسطر
آثار يديه .
فرشاة الأسنان البيضاء هذه ،
وقطعة الصابون ناصعة البياض

داخل النافذة
هيا له . . .
ا، لمنه البحرية الزرقاء
ا:ـ.ـة فوق السرير
ـ.ذر اعاها ، دون يدين ، على صدرها . . .
ا.١٨ سريره ،
إ.ه سرير متنقل ،
ـ مابي الجدار كاسكيته ذات اللون الرمادي
والمخصصة للأعياد
ـ مابي الأرض بطاقة قطار من الدرجة الثالثة . . .

١٩٣٢

أغنياتنا

أغنياتنا
يجب أن تخرج الى الشوارع في الأحياء البعيدة .
أغنياتنا ،
يجب أن تقف أمام بيوتنا ،
يجب أن تقرع على زجاج النوافذ ،
يجب أن تشد على مقابض الأبواب ،
أن تشد عليها
حتى توجعها ،
أن تشد عليها
حتى تفتح الأبواب
أذرعها الموثقة . . . .
نحن لا نفهم
أغنية الفم الواحد .
أغنياتنا
كل ليلة مأتم

وكل يوم عيد
يجب أن تلحن بأيديها العملاقة
متسلقة صندوق الغاز
الذي بطحته أرضاً .

أغنياتنا .
يجب أن تجبرنا على قراءتها بفم واحد
مثل ريح عاصفة في غابات الصنوبر ! !
أغنياتنا ،
يجب أن تنقض على العدو في الطليعة ، قبل الجميع .
وجوه أغنياتنا يجب أن تصطبغ بالدم
قبل وجوهنا . . .
أغنياتنا ،
يجب أن تخرج إلى الشوارع في الأحياء البعيدة !
أغنياتنا ،
لا تستطيع أن تمكث

في بيت قلب وحيد
ستائره مسدلة
بابه مقفل !
أغنياتنا ،
يجب أن تخرج إلى الريح .

١٩٣٢



الذي رحل

على زجاج النوافذ ليل وثلج .
السكك المتلألئة في الظلام الناصع البياض ـ
تذكر بالاتبعاد وبعدم الالتقاء .
في صالة انتظار الدرجة الثالثة
في المحطة
تنام امرأة غطاؤ ها أسود
قدماها عاريتان .
وأنا أتجول . . . .
الليل والثلج ـ في النوافذ .
يغنون أغنية في الداخل .
لقد كانت أحب أغنية إلى أخي الذي رحل .
أحب أغنية . . .

أحبها . . .

أحب . . .

أيها الاخوة لا تنظروا إلى عيني

أميل إلى البكاء . . . .

السكك المتلألئة في الظلام الناصع البياض ـ

تذكر بالابتعاد وبعدم الالتقاء .

في صالة انتظار الدرجة الثالثة

في المحطة

تنام امرأة غطاؤها أسود

قدماها عاريتان . . .

الليل والثلج على النوافذ .

يغنون أغنية في الداخل ! . . .

١٩٣٢

قلمية* ذات خبرة في وادي الهجاء

كان

يا ما كان .

حين كانت الجمال تدلّل على الجمال لتبيعها ،

كان أبي أنا ،

وكان والد أحد السادة المحترمين .

أبي أنا ،

رجل صغير نحيل وأصلع .

ووالد ذلك السيد المحترم

هو « السير عسكر » اللص الشهير

للسلطان عبد الحميد الثاني .

أبي أنا

دخل مملوءاً ،

وخرج صفر اليدين

طوال عمره ظل يقلب الدفاتر السوداء .

أما هو :

ابو ذلك السيد المحترم -
•مد أشاد العديد من الخانات والحمامات
•سارقا من شربة الماء وكسرة الخبز المخصصة
للذين ماتوا جوعاً في صحارى اليمن ،
•حاصلاً على الكومسيون بنسبة مئة بالمئة
من الدماء الجارية فوق الرمال . . . .
•الآن
أيها السيد المحترم :
لنقل للشاعر : « أوجز كلامك ! »
•مات والدكم
« السير عسكر »
•أبي أنا مات ايضاً .
•قبل أن يغمض عينيه الطفليتين المتقدتين
على الدنيا
كنتم أنتم بجانبه .

خشية أن يموت قبل أن يسدد حسابه البالغ خمس ليرات
سارعتم الى عد نبضات قلبه .
كانت يدا أبي الجديرتان باللثم قد عجزتا .
يا لهما من يدين ! . . .
عينا أبي كانتا قد عجزتا
عن رؤ ية صفحات الدفتر السوداء . . .
مع ذلك أنتم على حق :
فذلك اليوم كان هو يوم الحساب .
تنازلتم ووضعتم بيدكم أنتم
على أنف ميت نظارتيه ،
وطلبتم تصفية حساب الخمس ليرات .
ذلك هو الحساب الذي أسدده الآن .
فقد كنت مدينا لكم
بصفعة .
انتبه !
إنني اهيء ذراعي .

ملانا وجهاً لوجه.
والدكم مات.
أبي مات أيضاً.
تعينا وجهاً لوجه رجلان شهيران.
مصدر شهرتي أنا،
وكيف أصبحت شهيراً!
ذلك - معلوم!
أما أنتم(*)،
فالذي اعطاكم الشهرة
هو مال الإبن اللص
الذي سرق الليرات الذهبية الدامية لأب لص.
شهرتكم أنتم
هي الوزن القائم لكيس كبير
مليء باللعنات.
شهرتكم:
سواد وجه شوادر النَّوَر

* يستخدم الجمع للتفخيم بقصد الهزء.

التي تعطي هزّازات الخصور وعازفي الكمان الكبار ،
وإذا لم تصدقوا ما أقول
فليقطّب السادة العلماء
السنين مثل كتب أوراقها سميكة :
فتعَرفون أن النَوَر
في مناطق أدرنة ،
لم يسبق لهم أن سمعوا بأصل كأصلكم . . .

كان
يا ما كان .
حين كانت الجمال تدلّل على الجمال لتبيعها ،
كان أبي أنا ،
وكان والد أحد السادة المحترمين .
والآن أيها السيد المحترم !
مات والدكم
« السير عسكر » ،

ومات أبي أنا .
بقينا نحن الاثنان
رجلان شهيران وجها لوجه . . .

١٩٣٢

* القلمية : دوائر المالية في تركيا العثمانية
** يستخدم الجمع للتفخيم بقصد الهزء

أنتَ

لدى أجمل أيامي
ثلاثة رجال ملعونون :
وأنا دائب على حفر زجاج
نوافذ ذكرياتي هنا وهناك بأظافري
خشية عدم التعرف على رجال أجمل ايامي الملعونين الثلاثة
لو التقيتهم في الشارع . . .
لدى أجمل أيامي
ثلاثة رجال ملعونون :
أولهم : أنت
والثاني : هو ،
والثالث : ذلك هناك . . .
اثنان منهم عدوّان لي عداء يشوبه الدم ونصل السكين
أما أنت . . .
تكتب . . .
أقرأ . . . .

امتلىء خوفاً من قدرة الانسان ـ أي انسان ـ
على بلوغ هذه الدرجة من النذالة
ولو كان عدواً لي يريد ذبحي بالسكين . . .
يا للأسف !
ما أكثر
أيامنا المشتركة ؛
أجمل أيامنا
أيامك
أيامي أنا . . .
سآخذ
تلك الأيام
إلى الابدية
مع دم قلبي . . .
أما أنت ، فتبيع
تلك الأيام

مثل أم تضاجع ابنها ،
وتبيع لحم بناتها الفتيات . . .
تبيعها :
مقابل عشر ليرات في اليوم ،
وزوج من الأحذية اللماعة ،
وفراش دافىء
وراحة من ذات الثلاث مئة ليرة
لدى أجمل أيامي
ثلاثة ، رجال ملعونون . . .
أولهم : أنت
الثاني : هو
والثالث : ذلك هناك . . .
اثنان منهم عدوّان لي عداء يشوبه الدم ونصل السكين
أما أنت . . .
فلا أنا قيصر . . .

ولا أنت بروتوس . . .
لن أغضب منك ،
ولا حاجة لأن تنزعج حضرتك فتحرد . . .
فنحن الاثنين : أنت وأنا
لم نعد حتى عدوين . . .

١٩٣٢

قصائد ١٩٣٣



رسالة إلى زوجتي

واحدتي
في رسالتك الأخيرة تقولين
«رأسي يدور،
وفؤادي يكاد يفقد اتزانه،
إذا ما شنقوك
إذا ما فقدتك
فلن أستطيع الحياة بعدك!»
لا يا زوجتي العزيزة،
ستعيشين..
وسيتلاشى طيفي في الهواء مثل سحابة سوداء؛
لا يا زوجتي
يا أخت قلبي
يا ذات الشعر الناري!،
الحزن إزاء الموت

لا يدوم أكثر من سنة
في هذا القرن العشرين؛
الموت؛
جسد يتدلى من حبل المشنقة!
لي مأخذ واحد
على مثل هذا الموت.
غير أنني أؤكد لك
اطمئني تماماً:
عندما ستمتد يد الجلاد
الشبيهة بشباك العناكب
لتلف الأنشوطة حول عنقي.
فإنهم عبثاً سيبحثون في
عينيَّ ناظم الزرقاوين
عن أثر للخوف

إنني
في الساعات الأولى
من فجر ذلك اليوم
سأراكِ وأصدقائي
لكنني سأحمل معي إلى القبر
حسرة أغنية لم تكتمل.....
زوجتي، حبيبتي!
يا ذات القلب الطيب!
يا ذات البشرة الذهبية!
يا نحلتي أنت، يا من عيناكِ أحلى من العسل!
كيف أكتب لك
عن حكاية الاعدام؟!
الدعوى لا تزال في بدايتها
لم يصلوا بعد إلى درجة

،معلعون معها رؤوس الرجال مثل عناقيد العنب.

دعكِ من كل هذا
إنه احتمال بعيد، بعيد.
إذا كنت تملكين شيئاً من النقود
فاشتري لي سروالاً من الفانيلا،
عادت آلام المفاصل إلى ساقي.
و لا تنسي أبداً
انَ على زوجة السجين
أنْ تفكّر بالأشياء الجميلة.

سجن بورصه / ١١ / ١١ / ١٩٣٣

صوتنا

لا تحصر فمك بين كفّيك
ولا تبق مسمّراً على الجدار!
لا تحصر فمك بين كفّيك
هيا انهض!
تعال إلى النافذة
انظر!
أنه الليل
جميل كبحر جنوبي
يقرع نافذتك بأمواجه...
تعال!

اصغ إلى الرياح:
الرياح عربات لنقل الأصوات،
الرياح مكتظة بالأصوات:
إنها أصوات الأرض والمياه
والنجوم وأصواتنا نحن...

تعال إلى النافذة!
اصغ إلى الرياح مرة واحدة
ستجد صوتنا عندك
صوتنا معك...

١٩٣٣

العفو

رميت كتاب «ألف ليلة وليلة» جانباً
أشعلت سيجارة.
نظرت
من بين القضبان.
النجوم تتلألأ
وكأنها مجموعة كبيرة من المرايا السحرية.
ليل.
سجن بورصه...
أمواج بحيرة مظلمة تتلاطم
بحيرة معزولة ووحيدة.

الطابق السفلي
في هرج ومرج
حيث الجناة العاديون
والمجرمون؛
أصحاب القلانس السوداء المدببة
في هرج ومرج.
الشفاه ممتقعة
الجباه متجعّدة.
تسرّب بصيص من النور
عبر شرخ في الجدار.

هيا إلى الأمام
يا قرية العميان!
العميان
يتقدمون غائصين في أحلامهم المعتمة!
يقولون:
«سيصدر العفو!»
«وسنخرج
لنرتدي القبعات مائلة...
لنلاقي الأرض
والشمس
والمرأة
والهواء...

نركب القوارب

والحافلات

والقطارات!

دون قيود

دون درك

أحراراً طلقاء

نذهب حيثما نريد!

ام في الغابات

نسوح بين الجبال،

نطوف أحراراً طلقاء!»

أصحاب القلانس السوداء المدببة
في هرج ومرج . . .
لا بد من التنكيت أيام السجن . . .
وفجأة وجدت
أن السيجارة بيدي
قد انتهت
دون أن أعب منها نَفَساً واحداً .

٩٣٣/١٠/٢٢

قصائد ١٩٣٤



أورهان سليم

يا ولدي
يا ولدي الهزيل
يا ولدي المسكين
أيا ولدي، يا أورهان سليم!
لست عيني
ولا ذراعي
ولا دماغي!
أنت أول
وآخر رجل
أعيش من عرق جبينه
ممتطياً كتفيه الناحلين
مثل طرد كبير من الرصاص،
ها هي يدي تمتد إليك
بالحب
بالاحترام

وبالكثير من الامتنان.
لستَ من أولئك
الذين يقتلعون عيون الآخرين
رداً على الجميل الذي فعله
أنا أيضاً لست
ممن يتنكرون للجميل....
يا ولدي
يا ولدي الناحل الهزيل
أيا ولدي التائه يا اورهان سليم
يا من يحاول أن يصدح بالغناء
بين قطيع من الطبول المنفوخة
دون أن يلتفت إلى نَفَسَه المحدود
إضافة إلى سائر أعبائه!
لا تحزن حين أقول لك:
ما من سطر واحد جدير بالقراءة

في كل الذي كتبت!
لا أحد يستطيع أن يقدم
أسوأ من هذا العطاء
بهذا القدر من قوة الامتاع!
لا تتوهم أن من المستحيل
تقديم مهارة أفضل
بدرهمين اثنين! . . .

انظر:
حتى أكثر مساعدي اساتذة الجامعات جهلاً
حتى أولئك الشباب يفوقونك
في التلاعب بالجمل
حين يطلقون قوالبهم الفارغة بكثير من الضجيج! . . .
يا ولدي!
يا ولدي الهزيل!

يا ولدي المسكين!

أيا ولدي، يا أورهان سليم!

إياك أن تدع كلماتي هذه

تلتف على قلبك من الاتجاه المعاكس،

إياك أن يحمر وجهك من الخجل!

لا عليك! كن مطمئناً!

لا بد لك من أن تكتب ما هو

أسوأ من السيء!

ذاك، بنظري،

أفضل وأكثر صحة!...

بشرط ألا تنسى هذه الحقيقة:

إذا ما تعبت وزلت قدمك

يوماً ما

فسأكون أنا أول من يرجمك

أما الآن

فأنا مستعد لأن أفجّر بالرصاص
جبين الذي يزعم العثور على سطر واحد
يؤكد أنك بعتني!

١٩٣٤

قصائد ١٩٣٥



محاولات للكتابة شعراً حول أحد المخرّبين

«لم تموتي
بل هم قتلوكِ أيتها المرأة المسكينة»

ت. فكرت

لم تتصدّ لي أنت
بل هناك من دفعك لتقف
في وجهي!
لقد أمسكوا برقبتك
بأيديهم السوداء المغطاة بالشعر
وفجأةً
رفعوك شبراً عن الأرض،
بعد ذلك،
تركوك تسقط
على أطراف بنطالي.
ليتك فكّرت قليلاً
ليتك فعلت ذلك، يا بنيٍ
أيا «صفا» اليتيم فكّر قليلاً،

حرّك دماغك للمرة الأخيرة
لعلك تفهم قبل فوات الأوان:
أنت في هذه الحرب
لا تشكل ولا حتى نقطة
ولا حتى فاصلة صغيرة معقوفة
أو أداة صغيرة تافهة! . . . .
وهل لي، بعدُ، أن أغضب منك؟
ليس من عاداتي، كما تعرف أنت أيضاً،
أن أستشيط غضباً وأشتم
ساعياً يقوم بايصال البريد
عبداً ينفذ الأوامر،

لا، ليس من عادتي
أن أضرب الأجير
حين أغضب من سيده!
محترفو الصحافة من امثالك، كما تعرف أنت أيضاً،

أهلٌ لأن يُشهَّر بهم
بشدّهم من الآذان
بغية خلع أسنان الفتنة
البالغ عددها اثنين وثلاثين،
رضيتُ بأن أتحمل عبء مثل هذا التشهير
فهـا أنا أنشر على أرصفة «الباب العالي»
تفاصيل مستقبلك وماضيك....
فكِّر قليلاً يا بنيّ
فكّر ولا تتردد في أن تعترف
أنك ضربت على الطنبور في مطبعة «كيتون»
ورحت تدرّب حثالة المغنين على التلحين
ثم انتهكت عرض «زاروس» المسكين
وجعلته عالماً يشار إليه بالبنان،
لقد ساءك كثيراً
أن ترى ظلّي: أورهان سليم
يتجول بين أوساطكم

دون لسان ودون ذراع
فسارعت إلى المبادرة لتصدر مجلة
فاشية- ديمقراطية- ليبرالية
من أجل بطح الشاب أرضاً
وابعاده قدر الامكان
عن المكان الصحيح!
أن تبعده أولا مسألة تخضع للنقاش
أما نحن
فلن نسمح لأحد بأن يدوس ولو ظلّنا!
فكّر قليلاً يا بنيّ،
فكّر أنت يا من تتولى
وظيفة تبيان الطريق الصحيح
لأولاد الزنا المنسوبين لأرباب العمل أصحاب الكروش
المنتفخة،
فكّر قليلاً أنت يا «صفا» اليتيم،
فكّر وتذكر للمرة الأخيرة

أن استاذك نامق كمال
ذلك الذي يلف رقبته بلبدة أسد مستعارة
ذلك الذي يشرب الخمرة
بكؤوس من الذهب الخالص
يقدمها له خادمه الزنجي
الذي جُلب من بلاد الأبانوس،
حتى يبلغ حد السكر
وهو يناجي ملاك «الحرية»:
ـ هيا ارتفع!
ليس هذا مكانك،
ليس من المهارة
أن يأتي المرء إلى العالم!
هذا ما قاله لك،
وأنت أخذت كلامه مأخذ الجد
فتسلّقت
كرسيّه الموصوف في «ديجوستاسيون» أحمد هاشم

بعد أن كان مكانك
بين عرائس الطرابيش
في مسرحية «غادة الكاميليا»
فكّر قليلاً، يا بني!
فكّر قليلاً ولا تحاول تجاوز حدود القبور!
كن واثقاً من نفسك
أيها الاستاذ!
لا تعتمد عليّ،
لا تتجول متأبطاً ذراع أحد الموتى!
لا يجوز نبش قبور السلف
لمثل هذه الأسباب التافهة!
اتركه يا بني،
دعه ينام مستريحاً،
اترك أباك المحترم ذلك السيد الجليل
الذي راح «شهيداً للحرية»!
ذلك أفضل

فليس هناك في الأجواء
ما يشير إلى حرِب جديدة
بين الانجليز والبوير،
كما لا وجود الان لسفارة انجليزية
تنتظر من يبرق لها مهنئاً. . . .
دع الموتى مرتاحين حيث هم، يا بني!
اتركهم ولينم موتاي أنا الآخر!
أنت تعرف أنني
لم انتظر تركة من جدي
ولا قدراً من شرف السمعة والشأن
من والدي!
أنا لست ممن يفاخر بالحسب والنسب
بالدم والعرق والأصل.
ذلك لأنني لست من كلاب حدائق الحيوانات
المسجّلة في السجلات
ولا واحداً من أرانب المخابر.

أنا فقط متقدم على والدي المتوفي
ومتأخر عن ولدي الذي سيولد،
لست أكثر من جندي مجهول في احدى المعارك....
أما أنت: يا من هربت من المحاكم المختصة
بالتحقيق في الكسب غير المشروع
يا ألعوبة باعة العطور
يا أيها السلعة المسجلة
أنت يا أيها المخرّب الأعمى.
أنت يا أيها اليتيم المسكين...
اسمع: لست أنوي انكار القهر المتأجج....
هيا أكثر من الشراب
أكثر من الشم
ولا تهتم....
فقط، بين حين وآخر،
تذكر «حاجي وات» المصنوع من جلد الجمال
وظهره عصا،

حين تنظر إلى المرايا.
فكّر قليلاً يا بني:
حذار أن تتعرض لتسديد حساب عسير
أمام «مدّاحك»، «حاجي وات» ك الجليل الماهر
وهو يرتدي ثياب اله الحرب «زيوس».
فكّر قليلاً يا بنيّ،
فكّر قليلاً أنت أيها المخرّب المحترم...
أبله كل من يناضل في نظرك
وأعمى في رأيك
كل من يفكّر ويؤمن
أنت عدو مسعور
لأي ارتباط بأي فكر؛
هلاّ حدثتني عن هذا،
هلاّ رويت لي كيف
أردت أن تصبغ التمثال المزدوج لسليمان،
عبر الايمان الماسوني المثلث،

بدماء «حرية الفكر» البائسة؟
ما أعظم ذلك الايمان
ما أعظم تلك النار المتقدة
حتى جحظت عيناك وغرقت في بحار الدهشة
لأنك من المشرق العظيم. . . .
لأنك دخلت المحافل الماسونية
ثلاث مرات

وطردت منها ثلاث مرات.
فكّر قليلاً يا بنيّ،
فكّر قليلاً ولا تتهرب من الاعتراف
إن عرق جبينك
هو من بقايا تسكعاتك الليلية
في الشوارع الخلفية.
كل ليلة
حين يأوي الجميع إلى مخادعم
تبادر أنت إلى تخطي

سور الـ «نوفيل ليترير»
الذي لا يزيد ارتفاعه عن ذراع واحد
فتجوس بين أوراقها
على أطراف أصابعك
لتخطف من أسطرها: سطراً من هنا وآخر من هناك
جنباً إلى جنب مع صديقك «جينغوز»،
ولكن الجدران كلها
ليست بارتفاع شبر واحد.
وأنت لا تجرؤ على القفز من فوق كل الجدران
كما أن أبواب جميع الأفكار
لا تفتح أمام سعدنات «جينغوز»...
عليك أن تقرأ يا ولدي.
عليك أن تقلع عن الترجمة و «اللطش»،
دعك من لفت الأنظار والتألق وما إلى ذلك،
والتفت إلى القراءة...
فكّر قليلاً يا ولدي،

فكّر قليلاً أنت يا « صفا » اليتيم!
فكّر قليلاً وتعلّم مني للمرة الأخيرة:
أن الذي يُعرف باسم الفكر
ليس شبيهاً
في شكله
بأخشاب المعلم «قرابيت».
ليس الفكر
علكاً يُعلك بكثير من الضجيج،
ولا مغامرة ««الجاويش ابي عبدالله»
في مسلسلات «الوطن»،
ولا هو بلسم احدى العوانس
المتورمات
في «ذات مساء».
إنه: جواد عراك متوثب،
سيف قتال ذو قبضة قوية.
لا بد من قلب شجاع يمتطي ذلك الجواد

ولا بد من زند مفتول ليمسك
بذلك السيف . . .

١٩٣٥



كمال أحمد

لا أعرف
ما إذا كان فكره
متطابقاً مع فكري مئة بالمئة
غير أني أعرف
أنه كان من نسبي،
ليس بلحمه ودمه
وربما ليس بحماسه وعواطفه،
بل لأنه كان يبيع نور دماغه
وهو يغمس أصابعه في جرحه الدامي
مقابل كسرة الخبز.
غير أنه، للأسف،
لم يستطع أن يملأ عينيه بالشمس
حتى الجمام
مطلقاً صرخة داوية
مثل رصاصة خرجت للتو من فوهة البندقية
محطماً زجاج آلامه وأحزانه الداكنة!

عاش أياماً عجز فيها عن الوقوف من الألم.
إذ ذاك
خنق فؤاده بيديه
في كوبٍ من العرق
متلوياً يعتصر نفسه داخل دائرة مغلقة،
مثل الأم الجائعة
التي خنقت ابنها.
أراد أن يصمد، هربوا،
عمل وكافح، لسعوا ظهره بالسياط،
عطش، فشرب دمه!
أتى ثم رحل
مثل أغنية حزينة مقدسة
ماراً بشارع
على أرصفة تباع فرق الرؤوس الآدمية
حيث ينام الجياع!....
١٩٣٥

حول شعري

أنا لا أملك:
جواداً ذا سرج مزركش
أمتطيه،
ولا مداخيل من مصادر لا أعلم بها،
ولا أموالاً او املاكاً.
ليس عندي سوى هذا الصحن من العسل.
الأشدَّ توهجاً من النار،
صحن من العسل!

عسلي هو كل أملك . . .
أنا حريص على حراسة أموالي وأملاكي ،
أي على حراسة صحني المملوء بالعسل
من الحشرات .
ليس أمامك إلا أن تنتظر
يا أخي . . فانتظر . . .
ما إن يمتلىء صحنك بالعسل
حتى يأتيه النحل
ولو من بغداد . . . .

١٩٣٥

أغنية البحار

الريح
والنجوم
والمياه
وسبات حلم افريقي
سقط بين الأمواج.
الليل في ركيزة السفينة
مثل شراع أسود لمّاع.
نأخذ طريقنا زحفاً
عبر عالم مملوء بنجوم لا تحصى.
الريح
والنجوم
والمياه.
عند القمة كورس من البحارة
يصدح بأغنية شبيهة بالماء،
بالريح،
بالنجوم.

..م أغنية مثل النجوم،
مثل الريح،
مثل المياه.
هذه الأغنية تقول: «لسنا خائفين!
لم يحدث في يوم من الأيام أن هبط ظل الخوف،
مثل أمسية شتوية، فوق عيوننا».
هذه الأغنية
تقول:

«نحن نعرف كيف نشعل سيجارتنا
أمام الموت، بنار ضحكتنا الصافية».
هذه الأغنية

تقول
«نحن رسمنا طريقنا
لا عبر تصفيق الأصدقاء والأصحاب بل من خلال صرير
أسنان الأعداء».

هذه الأغنية

تقول: «عليك بالكفاح!»

إنها تقول: «لا بد من جر البحر

إلى مرفأ كبير ومضيء،

مرفأ مضيء وواسع دون حدود،

مع دفة مركبنا» . . . . .

هذه الأغنية

تقول: «النجوم

والريح

والمياه» . . . . .

عند القمة كورس من البحارة

يصدح بأغنية؛

أغنية شبيهة بالنجوم،

بالريح،

أغنية مثل الماء . . . .

١٩٣٥



شبح يتجول فوق البحر الأبيض

شبح يتجول فوق البحر الأبيض
إنه شبح جندي ايطالي.

يرتدي سترة قُطعت أزرارها،
جسده ممزق قطعة قطعة
مثقّب كالغربال،
قذالاه* المتعرقان غُمسا بالدم.

خائفاً
أن يهوي
في الفراغ،
يتجول مطلقاً صرخات حادة
فوق البحر الأبيض
ممسكاً بالشمس نهاراً
متعلقاً بأذيال النجوم في الليل.

اني أعرفه.
هو أحد الغفارين بحياتهم؛
او لم يُعدم رمياً بالرصاص
لكان عاش عدداً آخر من السنين.

اني أعرفه.
لقد هرب من الجبهة في «آدوقا»،
هرب مثل حيوان يهرب من الحريق،
هرب لا من أجل
فكرة
او قضية
أو مسألة حق.
هرب فقط كي لا يموت
كي يعيش.

كان يعرف الموت.
لم يقرأ هاملت ولا بيتاً واحداً من شعر دانتي.
لم تكن عنده أية فكرةعن لغز الموت في متون الكتب.

ساعة اعدامه بالرصاص
كان يقرأ أحد أدعية الأعراس
دعاء تذكره فجأة.
ذلك أنه لم يكن يخاف الموت
بل كان خائفاً من أن يموت.

فوق كل شيء
وقبل كل شيء
كان فقط يريد أن يعيش.

أن يعيش
مع المرأة
أو بدونها
مع الشبع
أو مع الجوع
مثل أية شجرة
أي طائر
أو أية سحابة
مثل أية سمكة
أو كأس من الماء
حفنة من التراب!....

هذا الفار الذي لم يرد أن يموت
أراد فقط أن يعيش
أعدموه بالرصاص
ذات صباح
حين كانت احدى الورود
تتفتح على احد الأغصان.

١٩٣٥

قصائد ١٩٣٧



الظلام الموشى بنتف الثلج

أنا هذا المساء محلّق
محلّق في الأعالي
أنا في وضع أسمى
من وضع ذلك الذي يسمع أصواتاً من اللانهاية
وذلك الذي يحاول ادخال «الشيء غير المفهوم»
في نسيج الأسطر؛
والذي يصوغ أعمق الكلام وأجمله؛
لذلك أنا شاكر
هذا المساء
أنا مغني أحد الشوارع
لي صوت لا ينم عن أية مهارة،
صوت يغني لك
أنت
أغنية لا تريدها.
الظلام موشى بنتف الثلج.

أنت على أبواب مدريد
يعترض طريقك جيش
احترف اغتيال أجمل أشيائنا:
احترف اغتيال الأمل والحب والحرية
والأطفال.
يهطل الثلج كثيفاً
ربما كانت قدماك المبللتان
تبردان هذه الليلة؟
يهطل الثلج كثيفاً
فيما أنا أفكر بك الآن
قد تصيبك رصاصة حيث أنت
فينعدم إلى الأبد
كل من الثلج والريح والليل...
يهطل الثلج كثيفاً
قبل أن تقف أنت على أبواب مدريد

قائلاً: «لن تمروا!»
كنت موجوداً أليس كذلك؟
من كنت؟
من أين أتيت؟ ماذا كنت تفعل؟
كيف أدري؟
ربما أنت:
قادم من مناجم الفحم بأستوريا،
ربما هناك ضماد مدمى فوق جبهتك،
يخبّيء الجرح الذي أصابك في الشمال.
وقد تكون أنت الذي أطلقت الرصاصة الأخيرة
في الشوارع
حين كانت مدافع «اليونكر» تحرق «بلباو».
أو أنت واحد من عديدين
عملوا أجراء وخدماً
في مزارع الـ «كونت فيرناندو فالاسكيروس دي قرطبة».

ولربما كنت تملك دكاناً صغيراً
في ساحة «بلاسّا دي سول»
تبيع فيها الفواكه الاسبانية ذات الألوان الزاهية.
ربما كنت عديم الخبرة والمهارة،
أو ربما كان لك صوت بالغ الجمال،
ربما كنت طالباً في قسم الفلسفة
أو واحداً من طلاب كلية الحقوق.
مزقت كتبك تحت جنازير
احدى الدبابات الايطالية
في حي الجامعة.
ربما أنت بلا دين،
وربما تحمل في عنقك ايقونة أو صليباً صغيراً؟
لم أر وجهك، ولن أراه.
قد يكون وجهك شبيهاً
بوجوه أولئك الذين هزموا «كولتشاك» في سيبيريا؛

وقد يكون وجهك شبيهاً

بوجه ذلك الذي ينام في الـ «دوملوينيار» عندنا

قد تجعل من يراك

يتذكر «روبسبير» إلى حد ما؟

أنت لم تسمع باسمي، ولن تسمع به أبداً؛

تفصل بيننا: البحار والجبال،

وعجزي اللعين أنا،

جنباً إلى جنب مع «لجنة عدم التدخل».

لن أستطيع أن آتي إليك

ولا أن أرسل لك:

صندوقاً من الذخيرة

أو علبة مملوءة بالبيض الطازج

أو زوجاً من الجوارب الصوفية الدافئة.

رغم يقيني الشديد
أن قدميك المبلولتين
اللتين تحرسان بوابة مدريد
تحسان بالبرد
في هذه الأجواء الباردة المفعمة بالثلج،
مثل طفلين عاريين.
أنا أعرف
أن أعظم الأشياء
وأجمل الموجودات،
أن أعظم وأجمل ما سيبدعه البشر
أي ذلك العشق الرهيب
في أعماقي، المتأججة بحب الوطن،
أن ذلك موجود في العينين الجميلتين
للحارس الذي يقف عند بوابة مدريد.

لا في الغد ولا في الامس ولا اليوم
أنا قادر أن أفعل أي شيء
سوى أن أحبه.

١٩٣٧



قصائد الحياة

فجأة تناثرت
خصلات الشعر الساقطة على جبينك.
فجأة حدثت حركة في الأرض:
الأشجار الغارقة في الظلام
تقول بعض الأشياء.
ذراعاك المكشوفتان ستبردان.
يعني أن القمر
يبزغ في مكان بعيد،
في مكان لا نراه.
إنه سينزلق فوق أوراق الشجر
وسيضيء كتفيك أنت
غير انه لم يصل الينا بعد.
عند طلوع القمر تهب الريح
الأشجار تتحدث.
ذراعاك ستبردان.

من الأعلى
من فوق الأغصان التائهة في الظلام،
سقط شيء تحت قدمك.
دسست جسدك في جسدي.
احمك العاري تحت يدي مثل قشرة فاكهة مغطاة بالوبر.
..ي على لحم زوجتي
لا يخطر لها شيء
لا أغنية من القلب ولا أية مبادرة عفوية
أمام الأشجار والطيور والحشرات.
..ي هذه الليلة
ا. تقرأ ولن تكتب.
ا ست هائمة، ولا بعيدة عن الهوى.
إ.ها أشبه بمخلب أحد الذئاب
بورقة من أرواق الكرمة،
بلسان قطة برية عند نبع الماء.

يدي شبيهة ببذرة أنتشت تحت التراب،
تتحرك، تتنفس، تأكل وتشرب.
لا أغنية من القلب ولا أية مبادرة عفوية.
لا هي هائمة ولا بعيدة عن الهوى.
يدي، أول يد بشرية
فكّرت وهي تلامس لحم زوجتي
تقول لي
مثل جذر اهتدى إلى الماء في التراب:
«أشرب، كل؛ تعامل مع الأشياء
الباردة
والحارة؛
خض المعارك، استمتع بالروائح
والألوان،
واعرف كيف تموت من أجل أن تعيش
لا أن تعيش من أجل أن تموت. . .»

أنا الآن
وخصلات الشعر الحمراء تتطاير فوق وجهي،
أحس أن هناك أشياء تتحرك في التراب
أطالب بحقوق الانسان الأول
والبذرة المنتشية
والقطة البرية عند نبع الماء
بحقوق ذلك الشيء المعروف باسم: الحياة،
أطالب بذلك ويدي على لحم زوجتي
واقفاً أمام الأشجار والطيور والحشرات،
أطالب بكل ذلك حيث تكون الأشجار غارقة في
احاديثها
وحيث يكون القمر وشيك البزوغ بعيداً في مكان
لا نراه

١٩٣٧



قصائد ١٩٣٨



رسائل
من السجن الانفرادي

اسمك
حفرته على جلدة ساعة اليد
بأظافري.
معلوم أن ليس هناك حيث نحن
سكين جيب بقبضة من الصدف،
(الأدوات القاطعة ممنوعة)،
ولا شجرة دلب ذروتها بين الغيوم.
قد تكون هناك في الباحة شجرة ما
ولكنني محروم من رؤية وجه السماء...
ترى كم من الناس، غيري، يؤوي هذا المكان؟
ذلك لا أعرفه.
وحدي أنا بعيد عنهم،
وهم، جميعاً ومعاً، بعيدون عني.
محرّم علي أن أتحدث إلا
مع نفسي.....

وأنا أحدث نفسي باستمرار.
غير أني، يا زوجتي العزيزة،
أنتقل إلى الغناء
حين أجد صحبتي لنفسي مملّة.
ما رأيك؟
حتى صوتي اللعين غير الموسيقي البتة
كما تعلمين،
حتى هذا الصوت يخترق أعماقي.
فيتفطر قلبي.
ذلك القلب
القديم نفسه
ذلك القلب الشبيه بطفل يتيم حافي القدمين
يهيم على وجهه في الطرقات
عيناه الزرقاوان مبللتان
ينشق أنفه الصغير المتورد،
إنه يريد أن يندس في صدرك.

لا ، إن وجهي لا يحمر خجلاً ،
لأنه ، في هذه اللحظة ،
على هذه الدرجة من الأنانية
على هذه الدرجة من البساطة
لأنه مجرد انسان
عادي .
ربما كانت هناك تفاسير لهذه الحالة
تفاسير فيزيولوجية ،
وتفاسير سيكولوجية وما إليها
وربما كان السبب لذلك كامناً
وراء هذه النافذة ذات القضبان
وهذا الابريق المصنوع من الفخار
وهذه الجدران الأربعة
التي لم تردد على مسمعي ، منذ عدد من الشهور ،
سوى صوتي أنا . . . . .

الساعة الخامسة يا زوجتي العزيزة.
وراء الجدران مساء جردي
ينقض مصبوغاً باللون الأحمر
فوق أراض جرداء لا أثر فيها للشجر،
ينقض بأقصى مهارته وبجميع تجهيزاته
كما لو كان يريد تمزيق صدر الذي وراء القضبان
بأطنان الغم،
ينقض على سقف ترابي
تشققت شفاهه من العطش
ينقض بحصانه الهزيل الناصل
الواقف دون حركة وسط المدى اللامنتهي.
سيحل الليل فجأة هذه الليلة أيضاً.
وحول الحصان الهزيل الناصل سيطوف نور.
هيا سأروي لك فكرة
ذات أهمية بالغة:
مزاج الانسان يتبدل

حسب تبدل الأمكنة.
أنا هنا شديد التعلق
بالنوم الذي يحرّك مزلاج بابي
ويهدم جدراني.
كما لو كانت يد حانية دفعتني
أترك نفسي لبحر النوم
وكأنني أغوص في مياه دافئة
تبعث على الراحة والاسترخاء.
أحلامي؟
رائعة!
فيها جميعاً أكون طليقاً.
الكون مغمور بالشمس،
إنه جميل.
في الأحلام لم اكن سجيناً ولو مرَّة
وما من مرة هويت من القمم
إلى الهوة السحيقة.

ستقولين :

«ولكن لحظات استيقاظك تكون رهيبة!»

لا ، يا زوجتي العزيزة،

لدي ما يكفي من الشجاعة

حتى أعطي للحلم ما للحلم.

الان سيمتلىء الفراغ الأجرد

لهذه الطبيعة اليائسة،

هذه الطبيعة النائمة أمامي مثل جثمان رجل فظ،

ادوام من النجوم،

ها قد امتلأت!

الك يعني أننا قد أكملنا

نهارا آخر من أيام الحنين والفراق

وانتهى الأمر.

أنا،
أنا السجين
سأتابع مهارتي المعهودة:
في أن أحس بكِ في مخيلتي
كما لو كنت اراقبك عبر مرآة غائمة ومعوجة،
وأنا أعزف على ناي الطفولة
لحناً شرقياً أحمله
كلاماً شديداً لاثارة....

اليوم أحـد
لأول مرة يخرجونني إلى الشمس هذا اليوم.
لأول مرة في حياتي
وقفت دون حركة
حائراً، مشدوهاً أمام كون صفحة السماء
بعيدة إلى هذا الحد
زرقاء إلى هذا الحد
وعلى هذه الدرجة من السعة.
جلست على التراب باحترام وتؤدة
وأسندت ظهري إلى الجدار.
في هذه اللحظة
ليس هناك رحيل مع الأمواج
ولا تفكير بالنضال، أو الحرية، أو زوجتي.
وحدنا: الأرض والشمس وأنا...
ما أسعدني...

سجن أنقرة ١٩٣٨



قصائد ١٩٣٩



ربيع في الداخل

زوجتي، حبيبتي!
لقد أطل الربيع في الخارج.
هناك وراء الجدران
انبثقت فجأة رائحة الأرض،
أصوات العصافير وغيرها
فوق البحار الجرداء.
الربيع حل في الخارج يا زوجتي
نعم: الربيع.
ألوان زاهية فوق النجاد الجرداء
وراء الجدران....
ولكن لا تظني أنني سعيد.
معلوم
أن فصل الربيع
هو فصل لعبو كثير الطرب
فصل مملوء بالفرح،

لكنه بالمقابل
يسوق الذي ليس عنده
ما يفعله إلا أن يتأمل،
الذي ليس حراً في أن يقوم بأي شيء
غير أن يتذكر ويحلم،
يسوقه إلى أن يتذكر أموراً بالغة القبح
أموراً بالغة السوء.
تبدأ الشمس بالانحدار عند الأصيل،
تنساب الظلال نحو جدرانها،
اما أنت، حيث تنام،
وأذناك ممتلئتان بالاصوات،
فتتساءل: «أين أنا؟»
«رغم أنني هنا؟!»

وفجأة
تتأجج النار في زجاج النافذة
ذات القضبان الحديدية
معلنة نبأ حلول المساء،
ولعل هذه هي أسوأ ساعات الربيع
حين تكون وراء الجدران.
على أي حال
ها قد بدأ العفريت المعروف باسم الحرية
ببشرته المتقدة المتلألئة
وعينيه المصنوعتين من الجمر
يمارس الاذلال ضد السجين
في فصل الربيع بشكل خاص...
إن هذا ثابت بالتجربة
نعم ثابت بالتجربة يا زوجتي العزيزة!

١٩٣٩



الفلاح التركي

إنه العارف دون كتاب،
العارف لأنه تعلّم من الأرض.
إنه الباكي مثل نصر الدين خوجا،
الضاحك مثل ذهني البايبورتي.
هو فرهاد
وكريم
وكل أوغلان. . . .
ما أكثر ما أغوته الطرق
فابتعد عن مأواه،
وطالت به الغربة حتى اصيبت الأمهات والآباء
باليأس،
ما أكثر ما تلاعبت بمصيره الأقدار اللعينة!
السيول تجرف أيامه،
يهوى احداهن
فيأخذها غيره

يتحطم جناحه

فيبقى في العراء وحيداً،

واری في التراب قبل أن يموت . . .

إنه «يونس الذي لا حول له ولا قوة»

ذلك المغطى بالجروح من قمة الرأس

إلى أخمص القدم» .

شرب الوحل

بديلاً عن الماء .

أنه ما أن يتاح له من يفهم المأساة

ليتولّى قيادته

ما أن تحين الساعة

ما أن يصرخ قائلاً : «كفى !»

تميد الأرض،

حتى ترى «اسرافيل وقد نفخ في الصور

وتجمدت المخلوقات حيث هي !»

حينئذ يبدأ قلب الأرض
يخفق عبر نبضاته.
حينئذ لا يعود يلتفت إلى حماية نفسه
ولا يوفّر أحداً من الأعداء.
حينئذ «يمزّق الجبال ويفصلها
يذبح الصخور ويفتح الطريق
أمام أبي الحياة».

١٩٣٩



من معتقل استانبول

في باحة المعتقل باستانبول،
ذات يوم شتوي مشمس، بعد المطر،
حين كانت الغيوم والسقوف القرميدية الحمراء
والجدران ووجهي تتحرك على الأرض
في برك الماء؛
حينئذ فكّرت بالعالم، بوطني وبك أنت ـ
حاملاً على أكتافي كل شجاعتي
ودناءتي، كل قوتي وضعفي....

معتقل استانبول
شباط ١٩٣٩

حبيبتي،
الرؤوس إلى الأمام، العيون مفتوحة إلى مداها،
الوهج المتصاعد من المدن المحترقة،
حقول الزرع المداسة،
أصوات وقع خطوات الأقدام اللامتناهية:

لقد بدأت المسيرة!
البشر يتعرضون للقتل:
بطريقة أسهل
وأبسط
وأغزر
من عمليات قتل الأشجار والعجول.

حبيبتي،
في غمار هذه المذبحة وفي هدير بحر من وقع الأقدام
حدث أن أضعت حريتي، خبزي وأنت،
غير أنني لم أفقد أبداً ثقتي المطلقة بالأيام القادمة
تلك الأيام التي ستأتي عبر الجوع والظلام والصرخات
تقرع بابنا بأيديها المزدانة بنور الشمس. . . .

سعيد سعادة استثنائية لمجيئي إلى هذا العالم.
أحب أرضه، ضياءه، صراعه وخبزه.
رغم معرفتي بطول قطره بالسانتمتر
ورغم أني لا أجهل أنه ألعوبة بالنسبة للشمس
فإن العالم كبير، بنظري، إلى حد لا يصدق.
أحببت أن
أجول العالم

أحببت أن أرى
الأسماك والثمار والنجوم التي لم أرها.
لكنني لم أسافر إلى أوروبا
إلا عبر كتاباتي والرسوم التي كنت أخطها.
طوال حياتي لم أستلم رسالة واحدة
عليها طابع أخضر ممهور بخاتم آسيوي.
أنا وبقال حينا
مجهولان بقوة في امريكا.

رغم ذلك
لي أصدقاء ولي أعداء
في كل ميل بحري وفي كل كيلومتر بري
بدءاً من الصين وحتى اسبانيا
وبدءاً برأس الرجاء الصالح وحتى آلاسكا.
اصدقاء لم أصافحهم مرة واحدة
ولكننا مستعدون لأن نموت
من أجل نفس الخبز ونفس الحرية ونفس الحلم.
واعداء أنا متعطش لأن أشرب دماءهم
وهم تواقون لأن يشربوا دمي

سر قوتي يكمن في:
أنني لست وحدي في هذا العالم الكبير.
ليس العالم والبشر في فؤادي ألغازاً
ليس العالم وسكانه أسراراً في قاموسي.

فقد حررت رأسي من جميع
أشارات التعجب والاستفهام
وأخذت مكاني
في صفي أنا
واضحاً دون تردد .
داخل المعركة الكبرى.
لا أنت ولا الأرض
تكفيان بالنسبة لي
حين أكون بعيداً عن هذا الصف .
رغم أن جمالك جمال خارق للعادة
ورغم أن الأرض دافئة ورائعة .
أحب وطني :
كم تأرجحت على أشجاره!
وكم قضيت في سجونه!
ما من شيء يُذهب عني غمي الداخلي
مثل أغاني وطني وتبغه .

وطني:
بدر الدين، سنان، يونس امره وسقاريا،
القباب الفضية ومداخن المعامل،
كل ذلك من صنع شعبي
ذلك الشعب الذي يضحك مخبئاً ضحكته حتى
عن نفسه
من تحت الشوارب.

وطني،
يا له.. ما أوسعه من وطن!
يبدو للمرء أن من المستحيل تغطيته بالتجوال
ادرنه، ازمير، اولو قشلا، مرعش، طرابزون، ارضروم.
انا لا أعرف هضبة ارضروم إلا من خلال أغانيها،
واشعر بالخجل
لأنني لم أستطع تجاوز طوروس ولو لمرة واحدة
من أجل زيارة عمال زراعة القطن
هناك في الجنوب.

وطني :
قوافل الجمال، القطار، سيارات الفورد، والحمر المريضة،
أشجار الحور
والصفصاف
والتربة الحمراء.

وطني :
ذلك السمك المرقط الذي يعشق
غابات الصنوبر وبحيرات قمم الجبال
ذلك السمك الذي تسبح فراخه
في بحيرة «آبانت» القريبة من «بولو»
الواحدة منها تزن نصف كيلو
جلودها دون حراشف تميل إلى الحمرة.

وطني:
قطعان الماعز في وهاد أنقرة:
التماع الفراء الطويلة المسدلة الخرنوبية الحريرية.
البندق الممتلىء والمفعم بالزيت في «غيرسون»،
تفاح «أماسيا» بخده المورَّد وبرائحته العطرة،
الزيتون
والتين
والشمام
وعناقيد العنب
ذات الألوان المختلفة والزاهية..
ثم المحراث القديم
ثم الأبقار السوداء
وأخيراً: أناسي التقدميون
بالغو الوسامة
والطيبة

أناسي المستعدون لأن يقبلوا كل شيء
بحماس وسرور كالأطفال،
أناسي المجدّون الشرفاء الأبطال،
هؤلاء الناس أنصاف جياع، أنصاف ممتلئين
أنصاف أسرى أو عبيد....



مرة أخرى حول الموت

زوجتي،
يا بديل روحي،
أيا خديجة بيرانيدة،
أفكر بالموت،
ذلك يعني أن
المرض قد حل بي. . .
ذات يوم
عند هطول الثلج،
أو ذات ليلة،
أو عند قيظ الظهيرة،
من منا سيموت نحن الأثنين
أولاً
وكيف
وأين؟
كيف وماذا سيكون الصوت الأخير
الذي يسمعه من يموت؟

كيف وماذا سيكون اللون الأخير
الذي سيراه؟
ماذا وكيف
ستكون الحركة الأولى
للذي يبقى حياً؟
ماذا ستكون كلمته الأولى؟
وأي خبز سيأكل أول مرة؟
قد نموت وكل منا بعيد عن الآخر.
النبأ
سيصل بكثير من الضجيج،
أو سيلمحّون إليه مجرد تلميح،
ثم يتركون الباقي على قيد الحياة وحيداً
ويرحلون...
أما هذا
فسيختلط بالحشود.
أعني هكذا هي الحياة يا سيدتي....

في أية ساعة
وفي أي يوم
وفي أي شهر
من عام ١٩٠٠
ستكون هذه الاحتمالات كلها؟

زوجتي،
يا بديل روحي،
أيا خديجة بيرايندة،
إنني أفكر بالموت،
وأفكر بحياتنا المنصرمة.
حزين أنا
مرتاح
وغارق في دنياي.

لا فرق
أينا يموت قبلاً
وكيف
وفي أي مكان،
انت وأنا استطعنا أن نحب
بعضنا
دما أحببنا أعظم قضية لدى البشرية.
- وناضلنا في سبيلها-
إذن يمكننا أن نقول:
«لقد عشنا!»

١٩٣٩

إن كاتب هذا الكتاب شاعر تركي عادي يعتز بأنه اعطى قلبه وعقله وقلمه، وعمره كله، لشعبه. ومن جهة أخرى فإن هذا الشاعر دأب بواسطة الشعر على تمجيد جميع نضالات كل الشعوب، مهما كان اسمها وموقعها الجغرافي وقوميتها وعرقها، في سبيل الاستقلال القومي والعدالة الاجتماعية والسلم، وقد اعتبر انتصارات هذه الشعوب انتصارات لشعبه هو، وهزائمها هزائم له، كما اعتبر أفراحها وأتراحها أفراحاً وأتراحاً لشعبه بالذات، ففي هذا الكتاب أصداء لهذه الاتراح، لهذه الأفراح، ولهذه الهزائم، والانتصارات.

وهذا الكتاب، من جهة ثانية، يضم قصة الأحداث التي مرت بانسان فرد: بما فيها أهواؤه وحسراته ومواقفه العملية التي اتخذها ازاء الموت، ومخاوفه، وأمراضه، وآماله، واسباب اعتزازه، ومعتقداته.

الثمن ١٣ ل.ل. او ما يعادلها